النبي إبراهيم
والشرعية السياسية

جمال عبدالرزاق البدري
عضو اتحاد الادباء والكتاب
والمؤرخين العرب

القاهرة - مصر
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ش مصطفى طموم، المنيل - القاهرة
تليفاكس: ٣٦٥٥٤٨٧

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

٥ش مصطفى طموم، المنيل القاهرة

تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧

النبي إبراهيم

جمال عبدالرزاق البدري

رقم الإيداع ٩٩/٩١٣٧

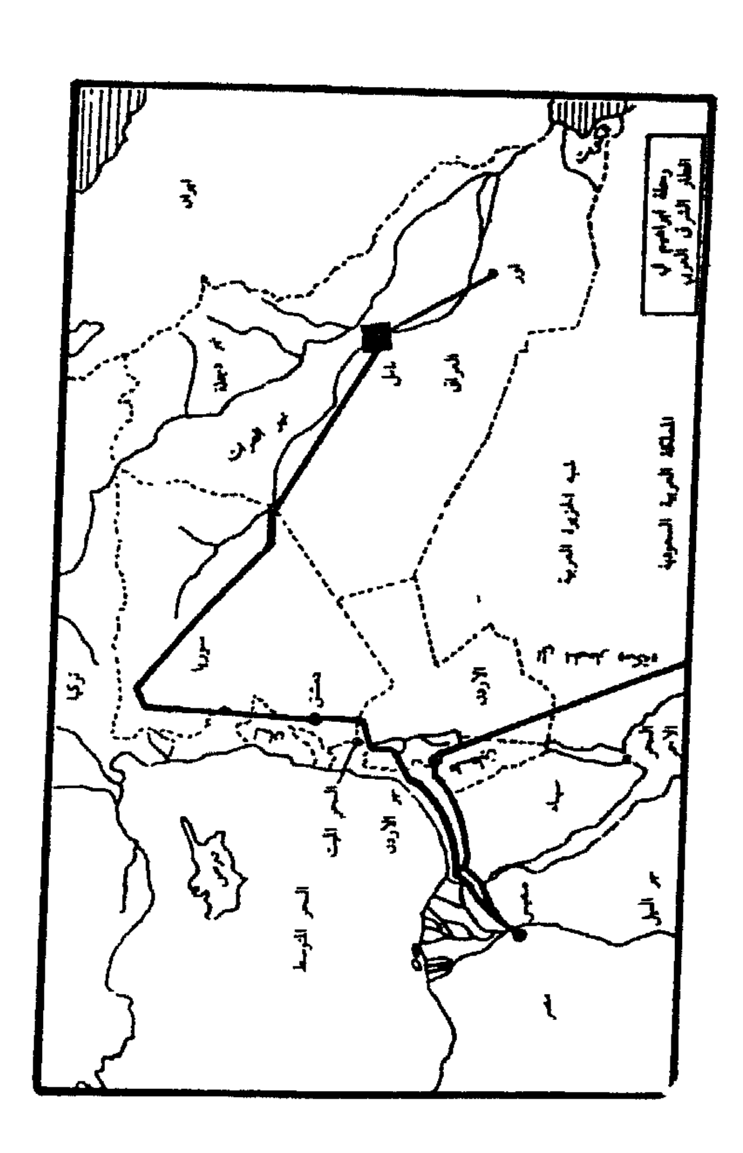
الترقيم الدولى 977-5841-33-X-I.S.B.N

تزكية

قال تعالى

مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

«صدق الله العظيم»



مقدمة

ليس تكرارا أن نتساءل ما التاريخ؟ ونجيب:

إنه العالم مكتوبا، هو الجنس البشرى منبعثاً من كل أجداثه، آخذاً الروح والحياة والحركة.. ازاء الرجال الذين ولدوا، والذين سيولدون، من أجل المعرفة للحاضر والمستقبل.. وهكذا على حد قول الفونس دى لامارتين: «ان الشعب الذى يمتلك تاريخاً أكثر هو الشعب الذى عنده الكثير من الفضائل...».

ولاشك أننا فى طليعة الشعوب التى تمتلك تاريخاً أكثر من غيرها، بدلالة الوقائع.. ووسط هذه «التاريخية» ندرك أهمية الدراسات فى شؤون الحضارة الفردية منها والجماعية، سواء فى جوانبها الذاتية أو الإنسانية الشاملة.

ويستحيل وسط هذا ـ الكم ـ الهائل من المعارف والدراسات، على الباحث والقارىء الاحاطة بهذا ـ الكم المعرفى ـ علىٰ تباين مستوياته ودرجات اختصاصه وفروعها.. حتى ليحار الكثير من المثقفين فى الاختصاص الخاص والعام فى متابعة النتاج الفكرى الغزير؛ ولهذا فإن القراءة الموسوعية تبدو أكثر ضرورة فى هذا العصر منها فى غيره.. وكلما تقادم العهد بالناس وجدنا أن الموسوعية فى البحث والتأليف مطلوبة؛ وآية ذلك ان إكتشاف حركة التاريخ المعاصر حاجة ملحة لفهم «الحياة الجديدة» من خلال سلوك منافذ رئيسية للولوج إليها.. واذكر هنا إننى فى زيارة خاصة أيام الدراسة الجامعية لاحدى المكتبات التاريخية فى ضواحى مدينة طليطلة الاسبانية، تراجعت عن الاستفادة من العديد من الكتب والوثائق فى تاريخ العصور الوسطى لكثرتها وتنوعها.. ولكننى تمكنت ـ فيما بعد ـ من معرفة تفاصيل مفيدة، من خلال انتخابى لبضعة

كتب موسوعية فى التاريخ والأدب الأسبانى، اغنتنى عن تلك المكتبة المليئة بالمئات من الكتابات والتى ضاق بى المجال للإطلاع عليها.. وكذلك فقراءة ديوان للشاعر العظيم المتنبى - مثلا - تغنيك عن قراءة عشرات الدواوين من الشعر العربى القديم.. ويبدو ذلك أوضح لغير المختصين من المثقفين المعاصرين.. الخ.

من هنا أنه إذا لم نجعل من «الثقافة التاريخية الموسوعية» ثقافة شعبية تهم أهل الاختصاص وغير الاختصاص، فإننا بذلك نخسر فى أكثر من موقع علمى؛ وإن السياسة والاجتماع والعسكرية والاقتصاد وما يرتبط بها من تقاليد وشخصية الشعوب لاتكون المعرفة إزاءها متكاملة وعميقة وناضجة بدون فكر تاريخى وثقافة وخلفية تاريخية واعية.

فالثقافة التاريخية - بمفهومها العام - إنما هى ثقافة المجتمع المتطلع إلى حياة جديدة، فيها روح وفيها حضارة ومدنية وابداع أصيل.. ومن ثم يجب أن تكون هذه الثقافة - كالملح - تدخل فى طعام الاكثرية الساحقة من الجماهير؛ فهى ضرورية إيما ضرورة، لأن عصرنا بكل مفاهيمه وقيمة واكتشافاته ما هو إلا نتاج للتاريخ المتفاعل الواعى وخاصة فى الحياة السياسية التى تحيط بنا من كل مكان»(١) لأن العلاقة بين التاريخ والسياسة مثل العلاقة بين السيف وذراع الفارس... لهذا ولغيره تشكل دراسة الشخصيات العظمى فى التاريخ أهميتها الكبرى فى الصراعات السياسية والفكرية والاجتماعية.. وتاسيساً على ذلك كانت دراسة شخصية نبى الله ابراهيم الخليل، فضلا عن اعتبارات أخرى متداخلة يمكننا تحديدها كالآتى:

١ ـ إنها تنسجم مع الرغبة فى «الموسوعية» لتجسيد مرحلة طويلة، أوعدة مراحل مهمة وحساسة في شخصية واحدة، ذات تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مجريات الأحداث، إضافة إلى جانب الرسالة النبوية التى بعث بها.. ومن ثم تعد شخصيته (نقطة تحول) نوعية فى المسيرة التاريخية والسياسية والفكرية للإنسانية.

٢ ـ إن شخصية أبى الأنبياء، تعد أول شخصية نبوية بدأت مع الحضارة الناضجة المستقرة؛ أى بعد أن اجتازت حضارتنا العصور البدائية الأولى من التاريخ القديم فى منطقة «الشرق الأدنى» ووادى الرافدين على وجه التحديد، الذى هو نواة الحضارة الأولى بلا منازع فى أعقاب نهاية العصر الحجرى الحديث.

٣ ـ إن سيدنا ابراهيم، هو النبى الوحيد الذى ادعت وتدعى الالتقاء به وبدعوته التوحيدية والانتساب إليها كل الديانات السماوية والجماعات الدينية التى جاءت من بعده على إختلاف مشاربها.. مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه الديانات هى الغالبة فى مكونات العالم ديمغرافيا وفكريا فى الوقت الحاضر والقادم؛ رغم إيماننا أن «**أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبى والذين آمنوا، والله ولى المؤمنين**»[٢].

٤ ـ إنه الرمز الأكبر الذى حقق معطيات حضارية متميزة منذ أيام شبابه الأولى فى العراق، وخلال جولاته التى شملت سورية وفلسطين ومصر والحجاز، وسنتناول أهم هذه المعطيات فى الصفحات التالية بشىء من التفصيل.. إلا أن ما نريد ذكره هنا،

إن سيدنا ابراهيم كان نتاجا عظيماً للحضارة العراقية القديمة فى أسسها ومعالمها اللغوية والثقافية والروحية.. وتأثيراتها على سورية وفلسطين وشبه الجزيرة العربية؛ على فترة من الرسل، ابتداءً من آدم ووقوفا عند نوح عليهما السلام، وكلاهما عاشا قبل ابراهيم فى أرض شنعار ـ أى أرض العراق كما تسميها التوراة.

٥ ـ إن كثيرا من التكوينات والأحداث الراسخة فى نسيج المنطقة العربية، تبلورت ملامحها منذ تلك الفترة التى عاشها هذا النبى الجليل، بغض النظر عما إذا كان له أو لدعوته الحنيفية دور أم ادعى الاخرون عليه ما ليس له به علم أو مالا يمت اليه بصلة.. ولما كانت منطقة [الشرق العربى] أو كما تسمى سياسيا بمنطقة [الشرق الأوسط]؛ من أهم مناطق العالم فإنه يجدر بنا معرفة خلفياتها، وخلفيات شعوبها ببصيرة وتقدير موضوعى لايقبل التأويل المزيف وبما يساعد على التعامل مع أحداثها وشعوبها بعمق ودراية، وصولا لتحقيق الفهم لانعكاسات الارتباط الشرطى القائم على جدلية المسببات والنتائج، والحالات المستقرة فى الشخصية المعاصرة، لأن ما يهمنا من التاريخ هو دوره الحافز للإحياء فى البناء القيادى والمجتمع الناهض بالقدوة، وبأسباب الرقى المادية المرتبطة بها.. وكل ذلك يدخل فى علم دراسة الشعوب والمجتمعات وأنماط تقاليدها ومؤثراتها المنظورة وغير المنظورة التى تحرك العالم الكبير فى السياسة اليوم وغدا(٣).

٦ ـ على الرغم من أهمية هذه المرحلة من دراستنا إلا إنها لم تلق التخصص الدراسى الذى يتناسب مع قدرها الجليل، وإن معظم

الدراسات والبحوث التي تعرضت لشخصية سيدنا ابراهيم الخليل وعصره، إنما نحت منحى دينياً قائماً على القصص والعبرة والعظة المجردة.. مما افقد كلا من الشخصية العظيمة والمرحلة التاريخية عطاءها الثر؛ وربما كان للتقادم الزمنى الطويل اثره غير المشجع، مما أدى بالبعض إلي «اهمال» مثل هذ الدراسات المتخصصة، ما عدا نخبة أكاديمية معزولة نسبياً احتفظت بما لديها بعيداً عن التداول المفيد والمطلوب.. ولكن هناك حقيقة ساطعة، وهى أن هذه الشخصية العظيمة أقرب إلينا من حبل الوريد، وهى تلقانا سواء وسط الحقائق أم وسط الأساطير.. فهى موجودة فى وعد بلفور ١٩١٧، وحروب ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ـ ١٩٨٢ وفى الإنتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال، وفى أحداث لبنان، وفى ضرب المفاعل النووى العراقى، وفى التعاون والعلاقات بين الكيان الصهيونى والمجموعة الغربية وفى مؤتمر أوسلو ومدريد.. كما أنها من أكثر الشخصيات ـ بعد النبى محمد ﷺ ـ ارتباطا بتاريخنا العراقى والعربى والإسلامى.. وبالمقابل فهى من أكثر الشخصيات والمراحل التاريخية تعرضاً للتزوير والتزييف الصهيونى، لعلاقة ذلك بالعقائد اليهودية السائدة وبالوجود الصهيونى فى فلسطين المحتلة، وما يتطلبه ذلك من أدوات للصراع لتحقق الغلبة والتفوق واضفاء الشرعية أمام الرأى العام والخاص لكسب المعركة الكبرى فى المنطقة وخارجها.. حتى قال موشى دايان فى قصة حياته، مشيراً إلى تبرير دخول القوات الصهيونية للقدس العربية عام ١٩٦٧ «لقد استجبنا لدعوة ابينا ابراهيم...»(٤).

٧ ـ ولد ابراهيم الخليل فى وسط بيئة مليئة بالشرك والتيه الروحانى ـ بعد انطماس دعوة نوح التوحيدية ـ وهذا ـ فيما يبدو ـ هو قدر العظماء، لأن ولادتهم تكون من خلال المعاناة والمكابدة.. فنشأ نبى الله ابراهيم وفى نفسه التحدى والجرأة لواقعه الفاسد.. ورسالته لشموليتها وعظمتها وحركيتها تجسدت فى كينونة النبوات الكبرى التى جاءت من بعده.. فكان موسى عليه السلام فى مصر، وعيسى عليه السلام فى فلسطين، ومحمد عليه السلام فى شبه الجزيرة... والملاحظ أن العراق حيث ولد ونشأ سيدنا ابراهيم، ومصر حيث ولد ونشأ النبى موسى، وفلسطين حيث ولد ونشأ النبى عيسى، وشبه الجزيرة العربية حيث ولد ونشأ النبى محمد، كانت ومازالت هذه الأقطار أهم محركات الأدوات الفعالة فى السياسة والاقتصاد والدين والمصالح.. اقليميا ودوليا، وهى بمثابة القلب النابض لجسد الشرق الكبير ضمن العالم الواسع(*)... وهكذا يمكننا القول: لقد تعاونت أرض العراق مع باقى الأرض العربية على إحتضان أبى الأنبياء ـ إبراهيم الخليل ـ وليكون خاتم الأنبياء ـ محمد عليه السلام من ذلك الأصل الذى ولد فى العراق.

٨ ـ إن سيدنا ابراهيم هو أول نبى عربى، جاء على فترة من الرسل عقب النبى نوح بعد الطوفان، وبذلك شكل نقلة نوعية كبرى فى تاريخ النبوة والفكر فى الشرق ـ وليس غير الشرق العربى شهد نبوة سماوية ـ وكانت جميع النبوّات التالية له من نسله حتى مجىء خاتم النبيين محمد ﷺ ... وعليه فأن العراق لم يكن مهداً للحضارة فقط، وإنما هو أيضا المهد للنبوة الأولى..

(*) نقترح إطلاق تسمية الشرق الإبراهيمى، بدلاً من الشرق الأوسط... لتطابقه التاريخى والواقعى المعبر عن المنطقة.

واخيراً فإننى لا اكتب عن ماضٍ قديم يمتد لأربعة الاف عام تقريباً، ماضٍ لا لون له ولا طعم ولا أثر يرتجى منه... وإنما هى قضية واقعية الآن فى القرن العشرين، وغداً فى دماء الأجيال القادمة.. من القرن الجديد...

وإضافة إلى كل ما سبق، فإن دراسة شخصية إبراهيم الخليل، هى دراسة لمراحل واسعة من التاريخ والجغرافية والسياسة والفكر والثقافة والدين.

ولابد من القول: إن ما ورد فى هذه الدراسة المتواضعة قد يتفق مع الروايات المعروفة أو لايتفق. إلا أننى لم أضع إلا ما يحترم أصول البحث واستنتاج الحقائق.. بعيدا عن [الاسرائيليات].. ولو آثار هذا مَنْ لايريد إلا القدح..

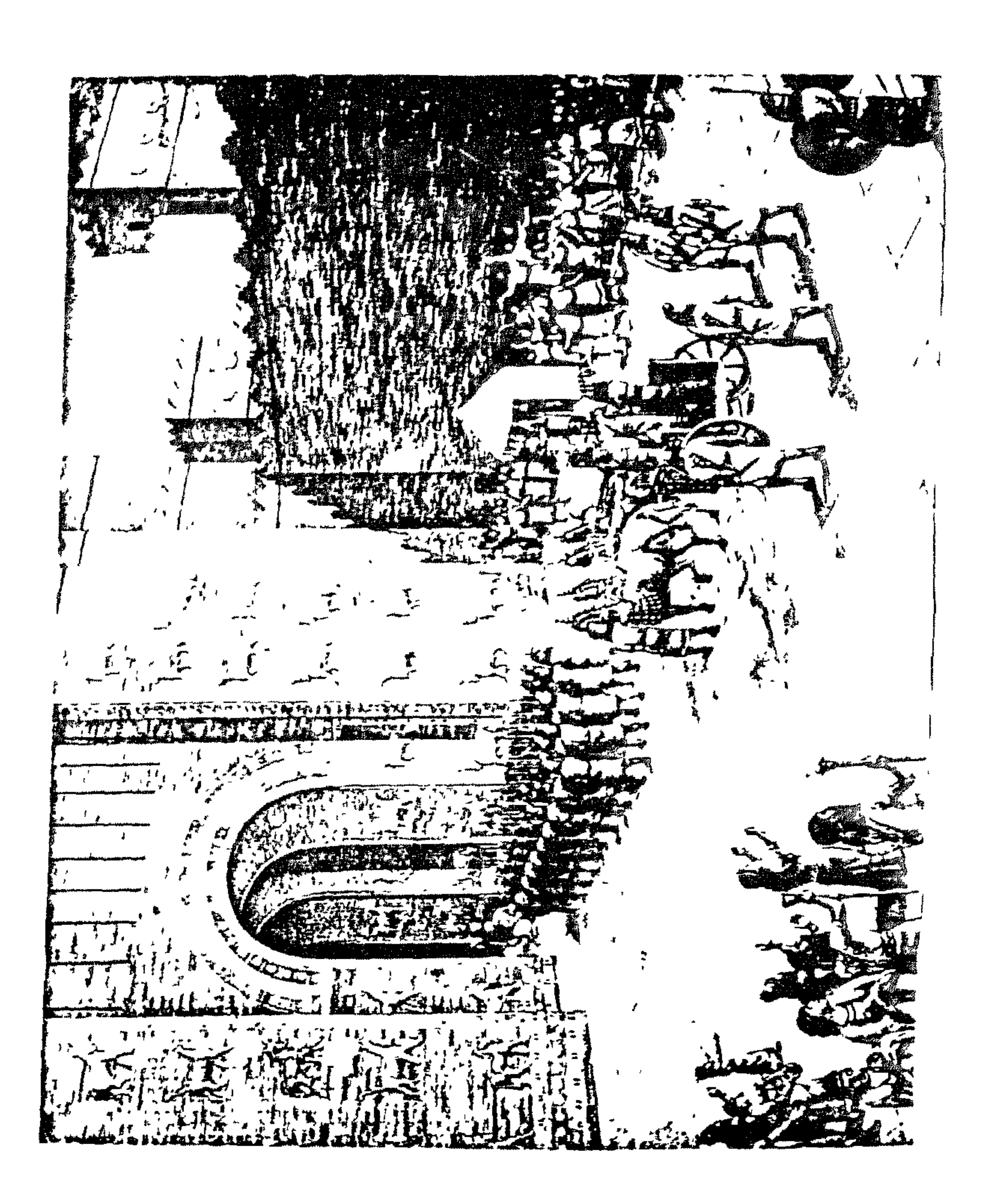
فى الختام، فأن العرفان بالفضل والوفاء لابد من اسدائهما، ولا يكون ذلك إلا بتقديم الشكر والثناء إلى كل من ساعدنى فى إتمام دراسى هذه، ومن الله تعالى العون والتوفيق...

المؤلف

أيار - مايو ١٩٩٩

القاهرة

مدخل عام
من فجر السلالات
حتى سقوط بابل



يجدر بنا استعراض الأوضاع السياسية والحضارية فى منطقة الشرق العربي، خلال العهد الإبراهيمى وامتداداته، قبل الانتقال إلى تفصيل وجوده ﷺ فى الاقاليم التى عاش فيها، وترك بصماته الروحانية بين جنباتها حتى اليوم، مع التركيز على وجوده الأول فى أرض العراق(١).. لأن المساحة الجغرافية التى ترتبط بحركة النبى ابراهيم تمتد من العراق، الموطن الأول له، وتسير إلى سورية وفلسطين، وتنزل جنوبا إلى مصر، والعودة صعوداً إلى فلسطين، ثم المرور بالأردن نزولا إلى أرض الحجاز، ثم الصعود إلى فلسطين، والاستقرار أخيراً فى مكة.

بعد الطوفان، ظهر عصر السلالات بحدود ٣٠٠٠ ق.م وهو أول تجربة ناجحة ومتميزة فى التاريخ الإنسانى جاءت بفكرة الحكم السياسى إلى المجتمعات البشرية، التى كانت فى العراق القديم... وانتهى هذا العصر بسقوط سلالة أور الثالثة «امبراطورية أور» فى حدود ٢٠٠٤ ق.م ومجيء العهد البابلى.. وامتد هذا العهد حتى نهاية سلالة بابل الأولى فى حدود ١٥٩٥ ق.م بقيام حكم الكشيين.. ثم عودة السيادة البابلية مرة أخرى. وأهم مميزات هذه الفترة من الناحيتين الحضارية والاجتماعية وما يرتبط بهما من تأثيرات سياسية ولغوية ودينية وثقافية، هى الهجرات العربية الكبرى القادمة من شبه الجزيرة العربية إلي وادى الرافدين ووادى بردى واليرموك والأردن، وسواحل لبنان وفلسطين وسهولهما الزراعية، بعد أن كانت «الهجرات» السابقة محدودة العدد وأحيانا فردية.. ونتيجة للهجرات الكبرى هذه تغيرت الهياكل العامة لهذه المناطق من النواحى القومية والسياسية والفكرية

واللغوية، وبإضافة الهجرات العربية «الغربية» إلى الأصل العربى القديم الموجودة ـ هنا وهناك ـ فى وادى الرافدين طغى التحول القومى واللغوى فى العراق على غيره من الأصول غير المستقرة..

وحتى الطابع السياسى للبلاد أصبح مزيجاً من التراث السومرى ـ الذى يمثل المحلية العراقية ـ متفاعلا مع الطابع العربى «الجزرى» أى القادم من شبه الجزيرة... طوال الفترة منذ نهاية سلالة أور الثالثة إلى سقوط الدولة البابلية على يد الفرس الاخمينيين فى سنة ٥٣٩ ق.م.(٢).

وقبل مواصلة الحديث عن هذه المرحلة يجدر بنا الوقوف عند مصطلحين مهمين جداً فى الدراسات التاريخية والسياسية واعنى بهما:

١ ـ السومريين أى العراقيون الأوائل...

٢ ـ الجزريين نسبة إلى جزيرة العرب(٣).

وسيكون الحديث عنهما متداخلا لتقارب ظهورهما زمانا ومكانا..

من الحقائق المتداولة أن التاريخ لايعرف [حقائق نهائية] كما أن الحقائق «المكتوبة ليست هى كل الحقائق النهائية، حتى وأن اتفق عليها جميع المؤرخين والمحللين»(٤).

إذن فبالرغم من كل ما قيل عن السومريين، وعن أصل وجودهم فإننى أرى إنهم «العراقيون الأوائل حضاريا» وهم بقايا قوم نوح ظهروا واستقروا فى السهل الرسوبى لوادى الرافدين بعد صلاحه للسكنى والرعى والزراعة.. وهذا الإستقرار اكسبهم [الشخصية

العراقية] بتأثير عوامل البيئة والأرض والموقع والهواء على حد تعبير ابن خلدون..

وبسبب أصالتهم هذه، استمر تأثيرهم الحضارى قائما حتى عندما أفل دورهم السياسى الحاكم بعد سقوط آخر ملوك سلالة أور الثالثة المدعو ـ أبى سين ـ الذى حكم ربع قرن تقريباً(٥)... وفى الفترة نفسها، ظهرت المجموعات الجزرية من العرب القدماء، أى من أطلق عليهم سابقا «الساميون» فى مناطق أخرى من العراق....

أما المرحلة الحاسمة لظهور التفوق الجزرى، فقد بدأت مع العهد العربى القادم من شبه الجزيرة والذى رافق هجرة الاكديين والاموريين والبابليين، اذ قامت للاخيرين عدة دول أهمها:

١ ـ سلالة ايسن ومؤسسها اشبى ايرا «٢٠١٧ ـ ١٧٩٤ قم.».

٢ ـ سلالة لارسة ومؤسسها نيلانم «٢٠٢٥ ـ ١٧٦٣ ق.م».

٣ ـ سلالة اشنونا «٢٠٠٠ ـ ١٧٦١ ق.م.».

٤ ـ سلالة آشور «٢٠٠٠ ـ ١٧٦٠ ق.م.».

٥ ـ سلالة مارى «١٨٥٠ ـ ١٧٦١ ق.م».

٦ ـ سلالة بابل الأولى ومؤسسها سومر أبم «١٩٨٤ ـ ١٥٩٥ ق.م». واشهر ملوكها حمورابى...

٧ ـ سلالة الوركاء ومؤسسها سين كاشد «١٨٦٠ .... ق.م.».

٨ ـ سلالة دير.. التى انتهت فى عام ١٩٥٤ ق.م.

٩ ـ سلالة ملكيثم...؟

١٠ ـ سلالة يموت بعل..؟

١١ ـ سلالة سبار...؟

وبسبب التفاعل الحضارى السلمى بين السومريين وعرب الجزيرة، نلاحظ أن هناك تقبلا لوراثة وتبنى، التراث السومرى من قبل مؤسس السلالة الأولى لايسن المدعو [اشبى ايرا] الذى اعتبر مملكته وريثة لسلالة أور، ووريثة السومريين بوجه عام فى ملوكية بلاد سومر واكد، كما تجلى ذلك فى تعلق ملوك هذه السلالة بالثقافة السومرية، حتى سار الكثير منهم على تقليد ملوك ـ أور ـ فى القابهم وأسلوب الحكم فى بلاطهم، وادعى الالوهية بعضهم على غرار الملوك السومريين، ونظمت التراتيل فى مديحهم، كما لقبوا أنفسهم ـ بملك أوروسومر واكد ـ وكانت اللغة السومرية هى اللغة الرسمية لمعظم السكان.. كما تدل على ذلك الكتابات الملكية التى جاءت من تلك الفترة(٥). وهذا كله يقرب الرأى القائل بأن جنوب العراق كان بيئة خصبة لتفاعل السومرية مع الجزرية، أى العراقيين القدماء مع عرب الجزيرة القدماء تفاعلا اكسب الشخصية العراقية عروبتها ولغتها وهويتها القومية بشكل نهائى...

ومما يزيد من تعزيز ما سبق، إن كثيراً من القطع الأدبية السومرية، التى وجدت فى مكتبة مدينة [نفر] قد ألفت أو استنسخت فى هذا العهد، بطلب من ملوك سلالة ايسن.. كذلك قام الملك [لبت عشتار] ملك لارسة بأصدار شريعته، التى سبقت شريعة حمورابى بنحو قرنين من الزمان، وقد دونها باللغة السومرية... الأمر الذى يشير بوضوح إلى تعلق ملوك هذه السلالة باللغة والثقافة السومرية...

ولما كانت [أور] مركز السومرية، وأن ابراهيم نفسه من [أور] فأن نسبته ترجع إلى السومريين ـ الذين هم بقايا قوم نوح بعد الطوفان ـ

وهنا يأتى قول القرآن الكريم مؤيدا هذا التصور بشكل عام ومباشر: **«إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم»**(٦). وقوله تعالى **«ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم، وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون»**(٧).

لقد شهد هذا العصر ابرز الهجرات التي تلتقى بشجرة نسب ابراهيم الخليل العربية العراقية من جهة ابائه وذريته حتى النبى محمد ﷺ وهى:

١ ـ هجرة الاكديين إلى وادى الرافدين خلال الألف الرابع ق.م.

٢ ـ هجرة العرب الغربيين من الكنعانيين والآراميين والفينيقيين إلى وادى الرافدين وسورية وفلسطين فى الألف الثانى والثالث ق.م.

٣ ـ هجرة الآراميين إلى الهلال الخصيب فى القرن الثانى عشر ق.م.

٤ ـ هجرة النبطيين منذ القرن الثانى ق.م حتى القرن السادس الميلادى.

٥ ـ اخيراً: هجرة العرب المسلمين فى القرن السابع الميلادى(٨).

وقد كانت الهجرة الثانية للعرب الغربيين أهمها بالنسبة لدراستنا هذه، وذلك لاتصالها وصلتها بعصر النبى إبراهيم.. وسأشير إلى ذلك في الصفحات التالية.

أما موضوع شجرة النسب فيمكن توضيحه وفق المخطط الآتى، كما اشتهر عند معظم المؤرخين والكتاب:

١ ـ نوح.

٢ ـ سام.

٣ ـ ارفخشذ.

٤ ـ شالح.

٥ ـ عابر «وهو جد العبرانيين كما تدعى التوراة».

٦ ـ فالج.

٧ ـ رعو.

٨ ـ سروج.

٩ ـ ناحور.

١٠ ـ أزر «كما ورد فى القرآن، وتارح كما ورد فى التوراة».

١١ ـ ابراهيم.

أ ـ اسماعيل.

ب ـ اسحاق.

أن عصر ابراهيم الواقع تقريبا ما بين ١٧٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م. برغم أنه يشير إلى معاصرة حياة النبى نفسه، يختلف عن غيره، لأنه ممتد قبل ابراهيم إلى نوح.. وهذا ما اثبته القرآن الكريم، بل إن التوراة توصله إلى آدم وتجعل العهد وفق تسلسل:

[الرب ← آدم ← افرام «ابراهيم» ← اسرائيل ← اليهود]

وعصر ابراهيم كذلك ممتد خارج حياته إلى الزمن المعاصر من القرن العشرين، وما سيتلوه من قرون كما اشرت فى المقدمة.

وهنا أود بيان، أن التوراة اشارت بأن اسم «افرام» أصبح «ابراهيم» بعد أن عقد النبى عهداً مع الرب وأن هذا التغيير بالاسم عند اليهود هو إضفاء دلالة مقدسة خاصة على صاحبه. وإبراهيم عندهم يعنى إنه «ابو الامم» لأن الكثير من الأسماء عند اليهود تتشكل من كلمتين»(٩).

أما شجرة نسب ابراهيم فى ابنه البكر اسماعيل وأولاده، فيمكن توضيحها بالشكل الآتى:

١ ـ ابراهيم.

٢ ـ اسماعيل.

٣ ـ نبايوت بكر اسماعيل «او نابت كما يذكر ابن كثير...».

٤ ـ قيدار «اوقيذار».

٥ ـ اديئل.

٦ ـ ميسام.

٧ ـ مشماع.

٨ ـ دومة.

٩ ـ مسا.

١٠ ـ حدار.

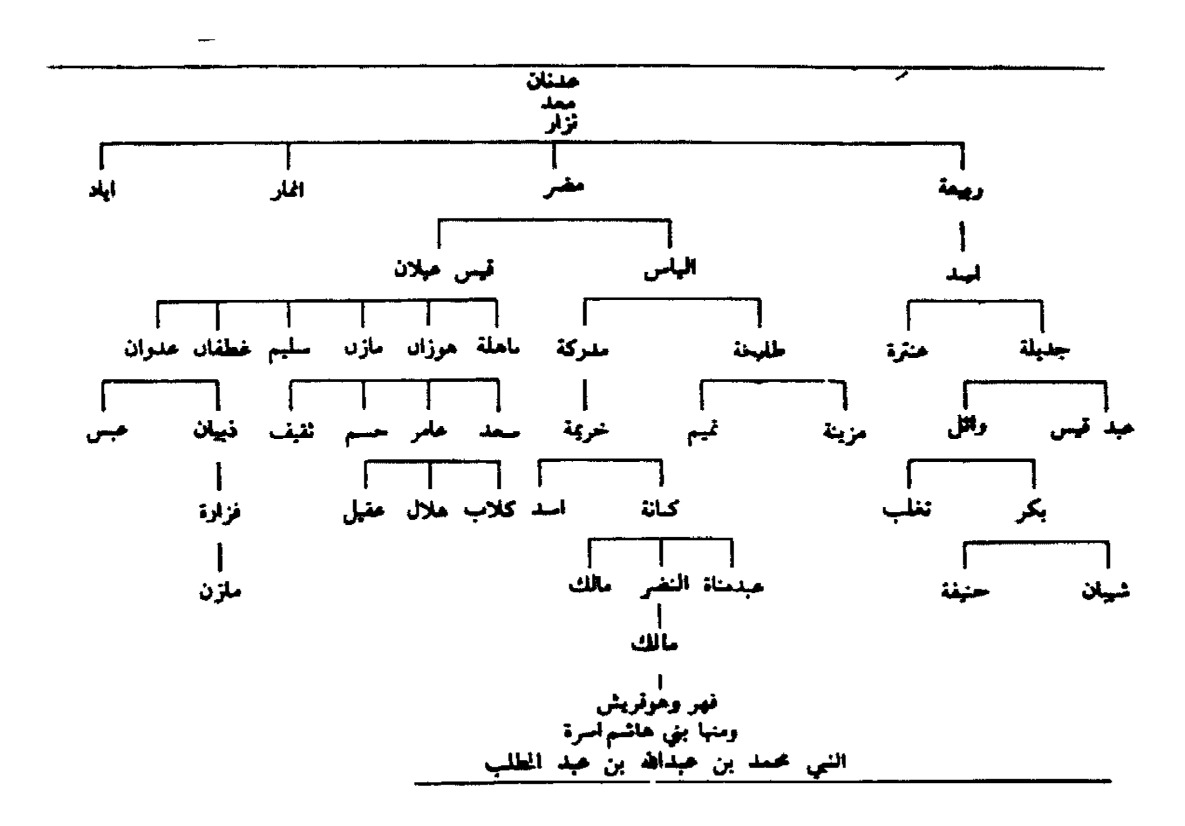
١١ ـ تيما.

١٢ ـ يطور.

١٣ ـ نافيش.

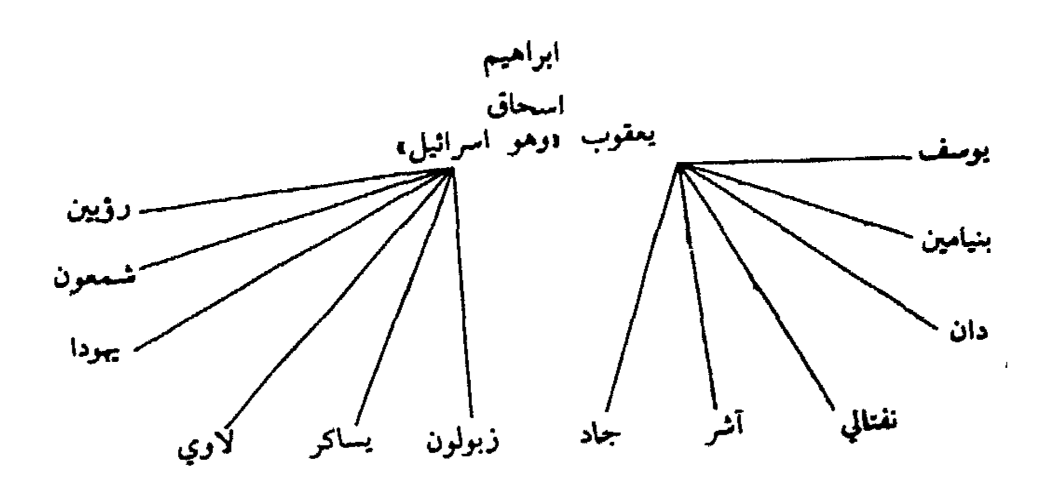
١٤ ـ قدمه.

وأولاد اسماعيل هؤلاء جاءوا بزواجه من بنت لمضاض بن عمر الجرهمي من أبناء يعرب بن قحطان ـ أى العرب العاربة ـ لذا أصبح أبناء اسماعيل بن ابراهيم الاثنا عشر، أباء للعرب المستعربة(١٠) من أبناء عدنان كما في المخطط الآتي(١١):



المخطط

وهنا يأتى قول الله تعالى فى قرآنه «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم، وما جعل عليكم فى الدين من حرج، ملة إبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم، وتكونوا شهداء على الناس، فاقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»(١٢).



وكان ابرز أنبياء بنى إسرائيل من السلالة السابقة داود وسليمان وموسى وهارون، وبعد تقسيم مملكة سليمان، ثم سقوط مدينة أورشليم على يد نبوخذ نصر انتهى عهد بنى إسرائيل من نسل إبراهيم، ولم يبق منهم أحداً، وفى هذا تنفيذ لوعد الله سبحانه «وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن، قال إنى جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتى، قال لاينال عهدى الظالمين»(١٣).

ولذا ظهر على المسرح ما يمكن أن نسميهم بـ [شباه بنى إسرائيل](*) وهم ـ القضاة ـ الذين تراسوا بقايا انصارهم، ونسبة هؤلاء القضاة إلى بنى اسرائيل مردها امران:

١ ـ المصاهرة مع بنى اسرائيل من نسل ابراهيم من جهة النساء.

٢ ـ الخدمة الدينية المقربة...

وبذلك انحسر فرع النبى إبراهيم من جهة اسحاق ويعقوب والأسباط واحفادهم على يد البابلين ومن بعدهم الرومان.. ولم يبق منهم إلا الفرع الرئيسى والمتمثل فى اسماعيل وأبنائه الاثنى عشر المولودين فى الحجاز، واليهم ينتسب معظم العرب فيما بعد من قحطان وعدنان، وفرع ثانوى يتمثل بالبابلين فى وسط العراق وجنوبه، وبالأشوريين شماله، وطوائف أخرى متناثرة فى بلاد الشام، وخاصة جماعة لوط ابن اخى النبى ابراهيم فى الأردن [مواب ـ عمون ـ ادوم]، وفرع من نسل النبى يوسف بن يعقوب فى مصر، ومنه موسى وهارون فيما بعد.. ويمر القرآن الكريم على بعض هذه الدلالات بقوله: «وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء، أن ربك حكيم عليم، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ـ ونوحاً من قبل ـ ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين»(١٤).

وقبل الانتقال إلى مواصلة الرحلة مع أبى الأنبياء، لابد من الإشارة إلى خطأ اقتران الأصل الواحد بين العرب واليهود ـ كما يحاول البعض اشاعته قصداً أو جهلاً ـ وذلك لسببين هما:

١ - إن العرب جنس عام، واليهودية دين خاص. فلا يجوز مساواة الجنس بالدين فالأخير اتباعه من عدة أجناس[١٥]. والجنس الواحد ينتمي لأكثر من دين فقد تهود بعض العرب قبل الإسلام، واسلم بعض اليهود فيما بعد

٢ - إن بنى إسرائيل على أثر سقوط أورشليم قتلوا مثلما هو مفروض ولم يبق منهم أصل يعتد به داخل فلسطين وزاد الرومان على يد تيتوس القضاء عليهم. وتفرق شمل اتباعهم فى مختلف أنحاء المنطقة العربية ومنهم بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير الذين لجأوا إلى الحجاز بعد العام ٧٠ للميلاد، حيث وجدوا الأمن والإستقرار ولكنهم طردوا منها فى زمن النبى محمد لتآمرهم على الإسلام ولم يبق من أصل ابراهيم ونسله الا فرع اسماعيل وبعض من بقايا نسل يعقوب بن اسحاق. أما من اعتنق اليهودية بعد ذلك فلم يك بالضرورة من بنى اسرائيل احفاد يعقوب بن اسحاق وهنا أيضا يقع فى خطأ تاريخى كبير من يدعى أن ابراهيم كان ابا للعرب ولليهود[١٦] فمن المعروف تاريخياً إن ابراهيم كان أباً لفرع من العرب القدماء هم بنو إسرائيل الأولون، وأبا للعرب من فرع اسماعيل وعلى كل باحث محقق أن يبحث فى حقيقة الصلة بين اسرائيل من أحفاد اسحاق ويعقوب وبين اليهود فيما بعد. لكى يجد الفرق المبين.

إذن لقد أدرك ابراهيم الخليل بنافذ بصيرته النبوية، أن العراق ثم مصر لاحقا، إنهما منطقتى صراع ساخن سياسيا وحضاريا فلم يكن له مقام طويل فى مصر، كما لم يك له مقام دائم فى مسقط رأسه العراق، ويبدو أنه عليه السلام وجد فى منطقتين اخريين هما: فلسطين نسبياً،

والحجاز مؤكدا، المقام المستقر الذى لاتعصف به الصراعات المهلكة.. وهكذا زرع فى فلسطين ابنه اسحاق وحفيده يعقوب ليكملا دعوته «ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه فى الدنيا، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين.. إذ قال له ربه اسلم، قال اسلمت لرب العالمين، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب، يابنى: إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وإنتم مسلمون. أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت. اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق، الهاً واحدا ونحن له مسلمون»(١٧).

كما زرع ابراهيم ابنه الكبير اسماعيل فى الحجاز، تنفيذاً لوعد الله بأن يبعث فيه النبوة، وسيحفظ ذريته.. وهى لم تزل مستمرة فى الجنس العربى دون غيره من المدعين بهذه النسبة.. تنفيذاً لقوله تعالى:

«وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن، قال إنى جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتى؟ قل لاينال عهدى الظالمين. وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى، وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود، وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل: ربنا تقبل منا إنك إنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك، وارنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا

وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم»(١٨)

وهكذا قدر للنبى ابراهيم أن تستمر ذريته، والنبوة فيها فى أرض الحجاز، فيما واجه عنتاً ومشقة فى أور وبابل بسبب الاضطهاد الكهنوتى لدعوته التوحيدية.. ولم تجد ـ ﷺ دعوته فى مصر الفرعونية ما وجدته فى فلسطين التى كان نجاحه فيها إلى قرون حتى سقوط أورشليم.. والحق أن تدمير أورشليم المتمردة على سيادة بابل، كان اشارة واضحة مفادها: إن بنى إسرائيل واتباعهم هم رعايا للحاكم العراقى، وهذه التبعية لن تلغها هجرة ابراهيم الأولى من العراق إلى فلسطين.. فتبعيتهم تبعية رعية.. وقد استغل فيما بعد اليهود هذا الأمر، ولفقوا حوله المآسى والأساطير لكسب عطف الآخرين.. من خلال قلب الحقائق التاريخية، ومثلهم مثل الفرس ـ فيما بعد ـ من الانتساب إلى آل البيت لكسب عطف الآخرين سياسيا..

إن سقوط أورشليم، أو بتعبير آخر انتهاء سلالة ابراهيم من جهة اسحاق ويعقوب والأسباط، لايماثله الا سقوط بابل نفسها ـ فيما بعد ـ وكان سقوط بابل بداية لدخول العناصر الأجنبية المتمثلة بالفرس إلى وادى الرافدين، سواء منهم الكيشيون أو الاخمينيون، والرومان إلى بلاد الشام وفلسطين ومصر وشمال افريقيا العربى.. ولم يبق لسلالة ابراهيم من معقل سوى شبه الجزيرة العربية، التى احتضنت اسماعيل بن ابراهيم وأحفاده الاثنى عشر، الذين أصبحوا عناوين للعرب ـ رغم الجاهلية ـ حتى عادت الحنيفية التى رفع لواءها ابراهيم

الخليل منذ أن كان فتى فى العراق، وهى أكثر شمولية ونضوجاً فى تطبيقاتها وسمواً فى معانياها ومفرادتها على يد النبى العربي محمد ـ ﷺ وهنا جاء قول الله فى قرآنه «قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا، وما انزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»(١٩)

ويشير العقاد إلى أن الدعوات النبوية التى «بدأتها دعوة إبراهيم، سلالة لم يظهر لها نظير فى غير الأمم العربية. وقد ختمت بدعوة محمد، وجاءت دعوة محمد متممة لها، فلا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها، بترتيب كل منها فى زمانها وعلاقة كل منها بمكانها، فلا لبس فيها من جانب العصر ولا من جانب البيئة. ومن قرائن الثبوت أن هذه الدعوات النبوية نسبت إلى أصل واحد، وهو السلالة العربية، قبل أن يعرف الناس علم المقارنة بين اللغات، فإذا فتشنا عن نسبة ابراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية ـ اللغة ـ يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب..»(٢٠). فكل النبوات من الشرق، وكل الرسالات من أرض العرب.

ابراهيم فى العراق



قبل تناول حياة ابراهيم الخليل، لابد من التوضيح - وباختصار - الخريطة الدينية التى كانت سائدة فى العراق القديم، لمعرفة المجتمع الذى ولد فيه ابراهيم. إن أول ما نلمسه بعد اندثار دعوة التوحيد التى جاء بها نوح ﷺ أن بقايا قوم نوح الذين عرفوا بالسومريين، استوطنوا جنوبى العراق. فكانوا أصحاب أول حضارة فى الشرق القديم وربما فى العالم كله. ومما يشجع وجهة النظر هذه: أن السومريين كانوا أول قوم حضاريين فى التاريخ القديم، ولم يذكر قبلهم - حضاريا - سوى قوم نوح الذين صنعوا الفلك العظيم.

كان المجتمع السومرى منقسما إلى دويلات ومدن، وكانت المدينة بمثابة خلية كاملة عاملة تحوى كل ما تحويه [الدولة - الإقليم] فمن حولها الأراضى المزروعة، وفى وسطها المعبد الذى تتركز فيه الحياة الدينية الخاصة بعبادة اله المدينة، وهو المسيطر على كل ما فيها، لأنه يعتبر المركز الحيوى لكل مظاهر النشاط الاجتماعى والحضارى فيها.. وكان الاله يعتبر [سيد المدينة] وله وكيل اسمه [ايشاكو] يتولى الحكم وتعهد اليه - باسم الاله - رعاية شؤون الناس.. وهكذا «نجح الحاكم العراقى القديم بتصريف أموره السياسية وأصبح المتولى للمهام الكهنوتية بصفته كاهناً أكبر للاله. إذ أن الحاكم نفسه كثيرا ما يكون هو ايشاكو الاله»(١)

وكشفت النصوص التى عثر عليها بين إطلال معبد مدينة - العُبيد - عن كهنة الهة المدينة، وهى الالهة [نين هرساج] والقابها أم الآلهة والبشر، التى ترعى امراء المستقبل.. وكانت تمثل على هيئة بقرة.. اختارت لها زوجاً هو [نانار] اله مدينة اور الذى مثل على هيئة الثور القوى الذى يرمز به إلى القمر.

اما اله مدينة [لجش] فكان اسمه [نين جيرسو] ويصور على هيئة نسر كبير له راس أسد ويقبض على حيوانين. وقد استمر هذا الأسلوب في تصوير الالهة على هيئة حيوان يتكون من أكثر من عنصر منتشراً فى العصر السومرى، وانتقل منه إلى العصر البابلى.. وإلى الشمال من وجود السومريين تشكلت دولة أكد من عرب الجزيرة، والتى قامت على الأسس نفسها التى كانت سائدة عند أوائل العراقيين من السومريين.

فقد اعتقد الأكديون: أن العالم فى بدء امره كان يتكون من عنصر واحد من الماء وهو يحوى عنصريين ازليين هما:

١ ـ المياه العذبة المسماة [ابسو].

٢ ـ المياه المالحة المسماة [تيامات].

وبتزواجهما انبثقت الحياة، فكانت الالهة والبشر.. أما الالهة فكانت عندهم مخلوقات سماوية تمتاز بحياة ابدية، ولكن لها احاسيس بشرية. اما البشر فكانت تمثلهم مخلوقات ليست بشراً، كما انها لاترقى إلى مصاف الالهة.. ومن ثم كان العالم فى تصورهم ينقسم إلى:

١ ـ السماء ويسيطر عليها الاله آدوم او انو.

٢ ـ الهواء والأرض ويسيطر عليهما الاله انليل.

٣ ـ البحار والمحيطات ويسيطر عليها الاله انكى.

وإلى جانب هؤلا الالهة، كانت هناك مجموعة كبيرة من الالهة تمثل قوة الطبيعة والعناصر المهمة فى البيئة[٢]. أما الناس فقد خلقوا من طينة الأرض وشكلوا حتى يشبهوا الالهة، وما خلقوا الا ليكونوا

خدما مطيعين لها، ولذلك اعتبر الناس أنفسهم ملزمين أمام الآلهة بأمرين:

١ ـ خشية الاله والخوف منه.

٢ ـ العبادة وتقديم القرابين طمعا فى النعم المادية الملموسة فى الحياة الدنيا، وليس الحصول على الحياة الخالدة، لأن فكرة الجنة والنار، النعيم والعذاب الدائمين لم تكن قد استقرت ـ بعد ـ فى عقولهم. واعتقادهم في ذلك أن الانسان مادام يعمل صالحاًفقد استحق رضى الاله، وعاش متمتعاً بالسعادة، أما إذا اذنب بقصد أو بدون قصد فأن الاله حاميه سيتخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشر ويتردى فى عالم الرذيلة.. فعليه أن أراد أن ينجو، أن يلجأ إلى السحر ويتمتم بالتعاويذ التى عملها الاله [انكى] للناس فحفظوها عن ظهر قلب، وكان الفرد الذى يتعلمها يصبح كاهنا لا عمل له إلا مساعدة الناس للتخلص من ايدى مخلوقات الشر والعودة إلى أرض الآلهة لترضى عنه(٣).

وإلى شمال أكد ظهرت في حوالى عام ١٨٩٤ ق.م الأسرة البابلية، التى اسسها [سومو آبم] بالقضاء على امراء الجنوب، ثم أعلن نفسه ملكا على بابل بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكد، وعندما جاء حمورابى ـ بعد ذلك ـ استمر فى توسيع سلطانه نحو الشمال والجنوب.. حتى وصل إلى أعالى نهر دجلة، وضم بلاد آشور، كما وصل إلى تخوم منطقة بحر الشمس العظيم [الخليج العربى].

ومن الجدير ذكره أن العقائد الدينية فى عهد الامبراطورية البابلية استمرت على ما كانت عليه فى العصور السابقة، لكن عدد

الالهـة ازداد حتى بلغ أكثر من خمسـة وستين الف إله.. إلا أن الاله [مردوخ] معبود مدينة بابل، أصبح هو الاله الأعظم للامبراطورية، وسيداً للالهة اجمعين.. واستخدمه حمورابى لفرض الوحدة السياسية حتى طلب من الكهان تأليف القصص ونسج الروايات حول [مردوخ] وبطولاته وقدراته.. وكانت أهمها قصة الخلق البابلية التى تتحدث عن بدء الخليقة وكيف استطاع [مردوخ] أن يصبح سيدا لجميع الاله(٤).

وسط هذا التحدى السياسى والكهنوتى.. واجه نبى الله ابراهيم الخليل فكرة وعبادة الاله مردوخ، واعرض عن عبادته وعن عبادة الالهة الأخرى بل جعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم وهو «مردوخ».

ومن المعلوم أن قصة الخلق البابلية، هى القصة التى اقتبسها اليهود ـ بعد مئات السنيين ـ أى أثناء السبى البابلى، وجعلوها قصة الخلق المعروفة لديهم، وبها يؤرخون تاريخهم(٥)..

وإلى الشمال كان الاشوريون، إذ بقيت الأصول الدينية البابلية فى جوهرها هى السائدة بينهم، إلا أنهم كيفوا العقائد الدينية لتصبح ملائمة للميول الحربية والطابع العسكرى الذى تميز به الاشوريون.. واعتبروا [أشور] الاله القومى، وملكا لالهة عندهم، وهو خالق البشرية والاله الحربى الذى لايشفق على أعدائه.

ولاكتمال معرفة الإطار الفلسفى والفكرى والاجتماعى فى العراق القديم(٦)، لابد من ذكر ابرز الالهة التى كان العراقيون يؤمنون بها، سواء فى سومر أو أكد أو بابل أو أشور.. لنعرف موقف ابراهيم الخليل من بنى قومه والمعاصرين له فى دعوته لنبذ تعدد الالهة.. وسنتناول أهم ثمانية الهة كانت سائدة يومئذ على أوسع نطاق اضافة للالة مردوخ وهى:

١ ـ أونو [آله السماء]: ويمثل مركز الصدارة بين المعبودات، وكان يعتبر اباً للالهة، وعند العراقيين هو ابو السموات وملكها، وعرشه على قمة قبة السماء، ويحكم أونو مجموعتين من الالهة هما:

أ ـ الاجيجى فى السماء.

ب ـ الانوناكى فى الأرض.

وهما اللذان يقتسمان التصرف فى شؤون العالم باشراف انون.. والسومريون والاكديون مرتبطون أكثر من غيرهم بأونو.

٢ـ انليل [آله الأرض]: ومعنى اسمه سيد الريح والروح، ثم أخذ بعد ذلك لقب [سيد الأرض] وله مظهر الجندى المغوار الذى تهز قوته كل الأرض.

٣ ـ انكى [آله الماء المقدس]: أو ما يسمى بالأرض الوسطى، ويعتبر انكى أيضا آلها للحكمة، فهو رب الذكاء والعقل والعلم والصناعات.. وإليه تنسب عملية خلق البشر، ونفخ نسمة الحياة فيه.

٤ ـ نرجال [آله العالم السفلى]: وهو أصلا آله الوباء المنوط به تعمير العالم السفلى، ويعاقب بالحديد والنار من يعتدى على شريعة السماء.. ومن مهامه معاقبة المدن التى تثور ضد السماء، ورمزه الاسد، وأحياناً يمثل له بالثور أو بالغراب.

٥ ـ شمس [آله الشمس]: ويعبر عنه بصورة دائرة بأربع حزم من الأشعة، تخرج من بينها أشعة مجعدة متموجة تمثل المعبود الشمسى، ويعتبر ضوء السموات والأرض، ودوره يقصر الأيام ويطيل الليالى.. وهو أيضا مانح الحياة ومحيى الموتى.. ولأنه ظافر على الليل والظلمات يعتبر بطلا.

٦ ـ سن [آله القمر]: وهو ابن الآله انليل ومساعده، واعتبره مجمع الارباب سيد التاج ومانح الصولجان.. ومن مهامه مباشرة تنفيذ العدالة مع الآله شمس، سواء فى الليل أو فى النهار.

٧ ـ عشتار [آلهة الزهرة]: وهى ذات طبيعة انثوية، تعتبر احدى بنات سن آله القمر.. واعتربها مجمع الارباب البابلى ذكرا فى الصباح تشرف على الحروب والمعارك، وانثى فى المساء ترعى الحب والشهوة.

٨ ـ الآله آشور: الآله الاشورى، وهو عندهم سيد الآلهة، ومانح الملك والصولجان، ويمتدحه الناس لسر قوته، ويترنمون بعظمته، وهو يرأس مجمع الآلهة الاشورية، ومن خلاله تحدد مصائر البشر، ولهذا تقدم له الصلوات والقرابين، ويدعو له الناس فى كل صباح..

٩ ـ الآله مردوخ أو مروك: وهو الآله البابلى الذى أصبح رمزاً وطنيــاً، وهو أيضــاً الابن البكر للآله انكى. ورث عن ابيــه العلم والسحر.. وصورته تشير إلى أن له أربع عيون وأربع آذان، لذا فهو اعقل العقلاء بين الالهة، الذين سلموه [القوة]، وعن طريقها استطاع أن يدير شؤون السماء والأرض.. ومقره فى السماء حيث كوكب المشترى، ويصور أحياناً كآله للعناصر الحربية التى لاحدود لعنفوانها من أجل الدفاع عن الوطن، ولكنه فى السلم هو آله الخير الذى يرى ويقدر الاقوات والأرزاق، ويشرف على البناء والعمران.. وقد انتشرت عبادته أكثر من غيره من الآلهة فى عموم الامبراطورية البابلية، ولقى تأييداً ودعماً كبيرين من الملك حمورابى ومن أبيه ـ من قبل ـ ومردوخ هو الآله الذى واجهه النبى ابراهيم الخليل «ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين، اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم

لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، قالوا اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين، وتالله لاكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، قالوا من فعل هذا بآلهتنا أنه لمن الظالمين؟ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم، قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟ قال بل فعله كبيرهم هذا، فسلوهم أن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسهم، فقالوا انكم أنتم الظالمون، ثم نكسوا على رؤوسهم، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون..»(٧).

يقول الطبري في تاريخه: «لما أراد الله عز وجل أن يبعث ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن، حجة على قدمه ورسولا إلى عباده ـ ولم يكن فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام من نبى إلا هود وصالح ـ فلما تقارب زمان ابراهيم الذى أراد الله تعالى ما أراد، اتى أصحاب النجوم [نمرود بن كنعان] ملك بلاد ابراهيم وقتئذ فى العراق ـ فقالوا له: تعلم أنا نجد فى علمنا أن غلاماً يولد فى قريتك هذه يقال له ابراهيم، يفارق دينكم ويكسر أوثانكم فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا.. فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده، إلا ما كان من ام ابراهيم امرأة آزر، فلم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حدثة ـ فيما يذكر ـ لم يعرف الحبل فى بطنها، فجعل ـ نمرود ـ لا تلد امرأة غلاما إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة قريبا منها، فولد فيها ابراهيم عليه السلام »(٨).

وكانت ولادته ضمن منطقة أور الكلدانيين كما تشير التوراة. واسم أمه السيدة [عوشاء] إلا أن الحافظ بن عساكر حكى فى ترجمة ابراهيم الخليل من تاريخه عن اسحاق بن بشر الكاهلى صاحب كتاب [المبتدأ]، ان اسم أم ابراهيم هو [أميلة] ثم أورد عنه فى خبر ولادتها له حكاية طويلة، وقال الكلبى اسمها [بونا] بنت كربتا بن كرثى من بنى ارفخشذ بن سام بن نوح(٩).

وأبو ابراهيم هو آزر كما ورد فى القرآن الكريم، وتقول التوراة أنه تارح، وكان نجاراً أو صناعاً للأصنام يبيعها إلى قومه ليعبدوها(١٠).

ولد هذا الفتى الذى قدر له أن يقف ضد أسرته، وضد نظام مجتمعه، وضد أوهام قومه، وضد ظنون الكهنة، وضد العروش القائمة، وضد عبدة النجوم، والكواكب، وضد كل أنواع الشرك.. ولقد أدرك ابراهيم، وهو غلام، أن أباه يصنع التماثيل الغريبة.. ودهش وأحس داخل عقله بالرفض، وكان عمره سبع سنين(١١).. ومن هنا فأن الفتى العراقى هو الذى اختار الله، فبعثه نبياً ورسولاً على عكس كل الأنبياء الذيت اصطفاهم الله وبعثهم لأداء رسالته التوحيدية.

اذن: من غير المعقول جاء المعقول، ومن بيت الأصنام ـ حيث يعمل الأب ـ ولد التوحيد وولدت النبوة ـ ليحطما الأوثان وعبيدها.. وهذه [الولادة] أيضا لاتخرج عن الظروف العامة التى كانت سائدة فى العراق انذاك؛ فكما مر بنا فى الفصل السابق عن الأحوال العامة في منطقة الشرق القيم، والتى كان العراق محورها ومركز الثقل فيها لسيطرته الساسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.. فأن الأحوال السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى شباب الفتى العراقى

ابراهيم ـ ابان القرن التاسع عشر قبل الميلاد ـ كما اتفق اكثر المؤرخين(١٢) ـ كانت فترة حرجة، فترة اضطراب وتوتر وتكون.. وهي على وجه التحديد، الفترة التي أطلق عليها الأثاريون اسم ـ فترة ايسن ولارسا ـ [٢٠٠٦ ـ ١٨٠٠ ق.م] وكانت تتنازع فيها ثلاث دويلات من أجل بسط النفوذ وهي:

١ ـ مدينة ايسن، واخر ملوكها دامق اليشو

[١٨١٦ ـ ١٧٩٤ ق.م].

٢ ـ مدينة لارسا، واخر ملوكها ريم سين.

[١٨٢٢ ـ ١٧٦٣ ق.م].

٣ ـ مدينة بابل والتي نجحت في توحيد البلاد على يد الملك حمورابي [١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م] وظهور المملكة البابلية القديمة، وهي مملكة عربية حكمت ما بين [١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق.م](١٣) حتى سقوطها على إيدي الغزاة الكشيين.

ويبدو ـ بشكل عام ـ من مقارنة تواريخ تلك الفترة، إن ابراهيم الخليل، كان سابقا لظهور الملك حمورابي، حتى أن هجرته من العراق. جاءت قبيل تولي حمورابي شؤون المملكة.. وإن الملك الذي واجه النبي ابراهيم، المسمى عند المؤرخين العرب الأوائل، [نمرود بن كنعان] كان ملكاً لاحدى المدينتين المنافستين لبابل [لارسا أو ايسن] قبل سقوطهما على يد حمورابي. علما أن هناك خلافا في التعيين الدقيق لورود اسم مدينتين اخريين هما: [الوركاء وكوثا] اللتان شهدتا النشاط التوحيدي لابراهيم الخليل. ولسنا هنا في معرض مناقشة في أي المدن كان الخليل.. لأنه فمما يبدو أن مدن [لارسا وايسن والوركاء وكوثا واور

وبابل] كلها متقاربة سواء فى علاقاتها أو جغرافيتها، إلى الدرجة التى تعتبر فيها منطقة أو إقليماً حضارياً واحداً هو ما يسمى فى العصر الحديث بـ [الفرات الأوسط]، من العراق..

ولكن المهم، أن عنصر التحدى الأساسى الذى دار فى حياة النبى ابراهيم، بعد تلقّيه أمر الرسالة انحصر فى جانبين:

١ ـ اقناع الملأ من قومه للايمان بالله الواحد الأحد.

٢ ـ تجنب الصدام مع السلطة الحاكمة وخاصة الملك نمرود..

وفيما يتعلق بالجانب الأول، كان نجاح ابراهيم محدوداً ومقتصراً على أهل بيته وخاصة زوجته سارة العراقية الأصل، وابن أخيه لوط وبعض عبيده وامائه.. الذين كانوا فى خدمته وإدارة أمواله، باعتباره سيداً له مقام اجتماعى مرموق ومعروف فى منطقته تلك.. أما الجانب الثانى.. فلم يتمكن ابراهيم من تجنب الصدام مع سلطة الملك وذلك لسببين:

أ ـ إن الملك فى تلك الفترة من تاريخ العراق كان يعد الآله والحاكم، وهو الجامع للسلطتين الدينية والدنيوية.

ب ـ إن الملك نمرودو أدرك أن دعوة التوحيد هذه، هى سلب لسلطاته التشريعية المرتبطة بالحاكمية على الناس، لأن الإيمان بالله يقتضى التسليم له بالطاعة، والامتثال لما أمر به الله ونهى عنه بمقتضى الالوهية والربوبية المعبر عنها بالحاكمية.. وهكذا فيما كان ابراهيم يدك رموز القوم الوثنية ويحاججهم فى موروثهم الفكرى كما وصفه القرآن الكريم «وحاجة قومه، قال: اتحاجونى فى الله وقد هدانى، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا، وسع ربى

كل شيء علما أفلا تتذكرون، وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن أن كنتم تعلمون؟ الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن، وهم مهتدون. وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء، أن ربك حكيم عليم»(١٤)

«وإبراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون أفكا، أن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فأبتغوا عند الله الرزق، واعبدوه واشكروا له، اليه ترجعون وأن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم، وما على الرسول إلا البلاغ المبين»(١٥).

حينئذ استدعاه الملك نمرود، ليدور بينهما الحوار التالى: «ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه، ان اتاه الله الملك، إذ قال ابراهيم: ربى الذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت، قال ابراهيم: فأن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين»(١٦).

ثم جاء رد السلطة واتباعها، عندما جاءها التحدى:

«قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم، وارادوا به كيدا، فجعلناهم الاخسرين، ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين، ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة، وكلا جعلنا صالحين»(١٧).

اذن: بعد فشل مؤامرة احراقه ﷺ بالنار، كان قرار الهجرة

من العراق. واشتملت الهجرة على ثلاثة اسماء أساسية من آل ابراهيم هم:

١ ـ سيدنا ابراهيم الخليل.

٢ ـ زوجته سارة.

٣ ـ ابن اخيه لوط الذى آمن به قبل هجرته

اضافة إلى مجموعة من العبيد والاماء

ولنترك آل ابراهيم فى هجرتهم.. ونعود قليلا إلى واقع العراق الاجتماعى والفكرى والسياسى لنرى الناس فى موقفهم من الدين فى العراق القديم، اذ كانوا على ثلاث فئات وهى.

١ ـ فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.

٢ ـ فئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

٣ ـ فئة تعبد الملوك والحكام(١٨).

أما إبراهيم الذى عاش واقع مجتمعه ورفضه، لأنه باطل ومنحرف، فقد قاطع قومه، مثلما هم قاطعوه، هو فى سبيل الله، وهم فى سبيل الباطل «قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم، والذين معه، اذ قالوا لقومهم أنا براؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً، حتى تؤمنوا بالله وحده..»(١٩).

وهكذا اختار ابراهيم طريقاً، واختار قومه طريقاً آخر لايلتقيان.

وهنا لابد من ذكر الملاحظات عن حياة ابراهيم الخليل وسيرته وهو فى العراق:

١ ـ إن شخصيته عليه السلام مرت باطوار نفسية وفكرية، قبل أن تبلغ مداها الزمنى الذى تجسد فى بناء الكعبة بيت الله الحرام ـ فيما بعد ـ والذى أكد النزوع النبوى والانسانى لديه على حسن [الولاء] الجغرافى والدينى، المرتبط بالأحاسيس الاجتماعية والسكانية ومدلولاتها التاريخية ليرتبط بالمطلق الكونى، ومن هنا كانت هجرته، البحث عن البديل وتصور الأفضل.. حتى لم تشبه هجرته فى التاريخ كله سوى هجرة النبى محمد ﷺ من مكة إلى يثرب، لمواصلة الرسالة وحماية قيم النبوة، والاعتصام بالتوحيد من الفتنة والاضطهاد.

٢ ـ كانت مواجهة السلطان الحاكم من قبل الفتى ابراهيم بداية لحركة التحرر من تبعات الحاكم المنحرف عن الحق.. واعلانا لميلاد المطالبة بحقوق الانسان لأول مرة فى تاريخ البشرية.. والتى تلتها واستلهمت جوهرها وعبرت عنه بشكل غير مباشر بعد عقود من السنيين مواد شريعة حمورابى، استجابة لاجواء المطالبة بالعدالة وفق مفهوم ذلك العصر(٢٠).

٣ ـ فى خضم المجابهة الفكرية المبدئية بين الحاكم وبين النبى ابراهيم، فأن الخليل لم يعدم وجود الانصار والمؤيدين المؤمنين بالتوحيد، مما أضفى على دعوته [قوة العصبة] كما يسميها ابن خلدون، التى اعطته الدعم والتأييد على طريقة ذلك الزمن، مع قناعة سيدنا ابراهيم، أن الله سبحانه كان معه ولاينساه.

٤ ـ إن ابراهيم الخليل قد تحدى الكافرين من قومه تحديا لالبس فيه ولا مجاملة، فسعى إلى هداية ابيه الذي رفض الايمان

«واذكر فى الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا، اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئا، ياابت قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا، ياأبت لا تعبد الشيطان، أن الشيطان كان للرحمن عصيا، ياأبت أنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا، قال أراغب أنت عن الهتى ياابراهيم؟ لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا، قال سلام عليك ساستغفر لك ربى أنه كان بى حفيا»[٢١]. كما سعى لهداية قومه فرفضوا الايمان «واذ قال ابراهيم لابيه وقومه أننى براء مما تعبدون، إلا الذى فطرنى فانه سيهدين، وجعلها كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون»[٢٢].

٥ - إن التوحيد لايقبل التجزئة، ورغم ذلك فأن هناك تطوراً تصاعدياً فكريا ونفسيا، سبق هجرة إبراهيم الخليل من العراق، يتعلق بالبحث عن طريق الاله - من هو؟ أين هو؟ سبحانه وتعالى عما يشركون.. ويمكن القول أنها الرغبة بالإستقرار، وليست حيرة وقلقاً.. وهى مثل رغبة العلماء فى الوصول إلى نتيجة تطمئن لها الأفكار والنفوس والسعى المشروع.. رغبة منشؤها الوضع الجغرافى لوادى الرافدين، وخصوصية المنطقة، والتداخل الطبيعى للكون، والتحدى الفطرى للانسان العربى.. وعلاقة ذلك بابراهيم، أنه مازال فى الناموس النسبى مهتديا، ولكن مازال الناموس المطلق يريده أن يعانى حتى يجد الطريق وهو له معين مؤيد فى سعيه هذا «واذ قال ابراهيم لابيه أزر اتتخذ اصناما الهة؟ أنى أراك وقومك فى ضلال مبين، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض، وليكون من الموقنين.

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربى، فلما أفل قال لاأحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة، قال هذا ربى، هذا أكبر، فلما أفلت، قال يا قوم أنى برىء مما تشركون، إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. وحاجة قومه. قال اتحاجونى فى الله وقد هدانى، ولاأخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون؟ وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء، أن ربك حكيم عليم»(٢٣).

وقد وردت مثل هذه المحاورة أيضا فى الآية ٢٥ من الفصل ٢٣/٢٥ من إنجيل برنابا نقلا عن السيد المسيح عليه السلام(٢٤).

٦ ـ وإذا طلبنا المقارنة وجدنا أن هناك شبهاً فريداً بين أحداث سيرة النبى ابراهيم الخليل وأحداث سيرة النبى محمد ﷺ ومنها الحالات الآتية:

أ ـ إن كلا النبيين ـ عليهما السلام ـ اصطدما مع قومهما، واضطرا إلى الهجرة بعيدا عن الأهل والديار(*).

ب ـ إن كلا النبيين اشتغلا فى التجارة وارتحلا تاجرين إلى خارج بلادهما: ابراهيم الخليل ارتحل إلى مصر، والنبى محمد ارتحل إلى بلاد الشام(٢٥).

حـ - إن كلا النبيين شهدا الفداء النبى ابراهيم أمره الرب بذبح ابنه البكر اسماعيل، ففداه بذبح عظيم، والنبى محمد أصابت اباه عبدالله - قرعة الكهان - ليذبح وفاء لنذر عبدالمطلب الذى رزق بعشرة أبناء، فأراد التضحية بأحدهم. فوقع الاختيار على عبدالله والد محمد، ففدى بمائة من الابل

د - إن كلا النبيين اقترانا بامرأة مصرية: ابراهيم بهاجر أم اسماعيل، ومحمد بمارية أم ابراهيم.

هـ - إن كلا النبيين الكريمين وجدا إلى جانبه زوجة مؤمنة صالحة مؤازرة، ذات أصل رفيع ومنبت طيب:

إبراهيم وجد إلى جانبه سارة، ومحمد وجد إلى جانبه خديجة بنت خويلد(٢٦).

وما يهمنا فى هذه المقارنة السريعة ما يتعلق منها بزوجة النبى ابراهيم سارة العراقية.. فهى شخصية ذات أصل من وادى الرافدين، والمشهور إنها ابنة عم ابراهيم المسمى هاران.. وتتجلى صفاتها الظاهرة فى القرآن الكريم على أنها سيدة شرقية عراقية الطبع والطباع، ويبدو أن سيدنا ابراهيم اقترن بها فى وقت مبكر من شبابه وهو فى العراق، إلا إنها لم تلد له إلا بعد أن تجاوزت سن الشباب، وبمعجزة اشارات اليها الكتب المقدسة.. وكان ذلك بعد زواج ابراهيم من هاجر اثر عودته من مصر، وولادة الابن الأكبر له [اسماعيل] فى أرض فلسطين.. وبعد هجرة اسماعيل الصغير مع أمه إلى الحجاز، حملت سارة ووضعت اسحاقا الابن الثانى لابراهيم الخليل وذلك فى فلسطين، وهو الابن الأخير للنبى ابراهيم و«لقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى. قالوا سلاما. قال سلام. فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما

رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، قالوا لاتخف أنا ارسلنا الى قوم لوط، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بأسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب، قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً، أن هذا لشىء عجيب؟ قالوا اتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل الكتاب أنه حميد مجيد»[٢٧].

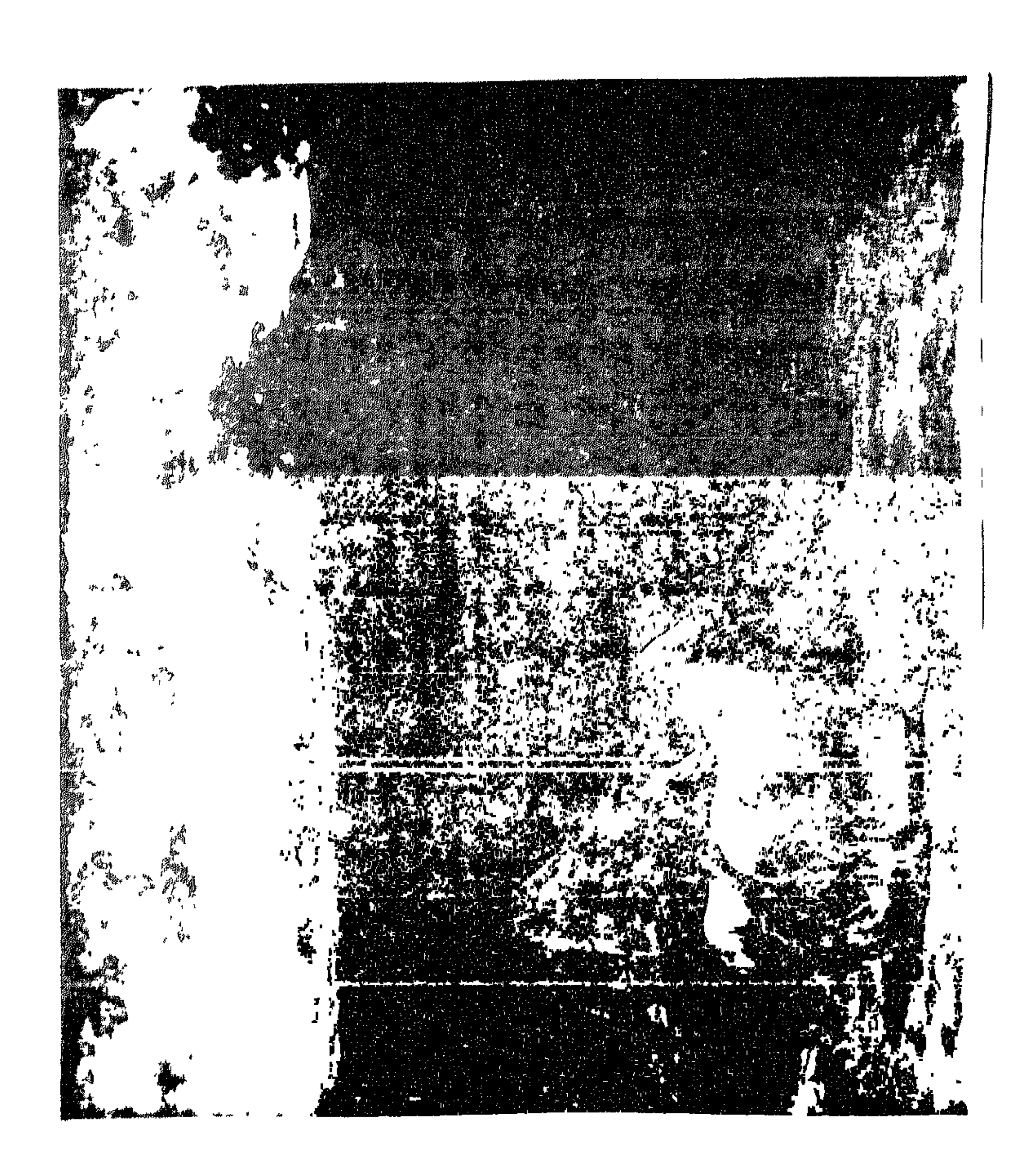
وقد أخذ اليهود الصهاينة[٢٨]، وضع تقليد فى نسبة المولود إلى أمه، وليس إلى ابيه كما هى العادة.. وإن اليهودى - فى عرفهم - من كانت أمه يهودية.. فى محاولة لتجريد اسماعيل من حق النسبة إلى ابراهيم الخليل، لأنه أمه - هاجر - مصرية غير يهودية.. وهذه مما حكة غريبة ومتناقضة. فاليهودية لم تكن موجودة أصلا فى عهد ابراهيم، وإنما ظهرت باتفاق كل الآراء الدينية والعلمية والآثارية والتاريخية فى عهد النبى موسى عليه السلام أى بعد سبعة قرون على عهد ابراهيم واسحاق ويعقوب، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة الواضحة بقوله:

«ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ومـاانزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون؟»[٢٩].

وهكذا وقع اليهود فى - فخ تاريخى - كبير مفاده أنهم غير صادقين فى دعوتهم الانتساب إلى إبراهيم الخليل، فتحايلوا بطريقة ملتوية - على الانتساب إلى اسحاق بن سارة، وبالتالى وضع الافضلية بالنسب للأم على الأب، وهذا غير جائز عند أمم الشرق قديما وحديثاً.. ورغم ذلك فمن الواضح أن سارة أم اسحاق ليست يهودية - كما يدعون - وليست من بنى إسرائيل، وإنما هى عراقية عربية، وحتى النسبة إلى بنى اسرائيل - هنا غير صحيحة - لأنها

لاتبدأ من ابراهيم وسارة واسحاق، وإنما من حفيدهم يعقوب بن اسحاق الملقب بإسرائيل، ومنه جاء الأسباط الاثنا عشر وأحفادهم المسمون ببنى إسرائيل.. ولذا وقع اليهود فى الخطأ نفسه، عندما انتسبوا إلى [سامية] سام بن نوح، واهملوا الانتساب إلى النبى نوح عليه السلام بغضا لاخوته، وهنا أيضا انتسبوا لاسحاق بغضا لاسماعيل، وانتسبوا لسارة بغضا لهاجر.. والملاحظ أن هذا السلوك اليهودى لايشبههم فيه إلا الفرس، بتفريقهم بين أصل وأصل وفرع وفرع من البيت النبوى وأوائل المسلمين لاعتبارات سياسية لاغير تحت [لافتة الدين]، وهناك الكثير من المتشبهات بين اليهود والفرس عبر التاريخ.

ابراهيم فى بلاد الشام ومصر



يبدو أن سيدنا ابراهيم الخليل لما غادر العراق، اتجه عبر بادية الجزيرة الغربية، بمحاذاة نهر الفرات، قاصدا بلاد الشام، ويبدو أيضا أن أول مدينة حط رحاله فيها كانت مدينة [هيت] ومنها إلى مدينة [عانه] ثم توقف فى [مارى] ومنها إلى [ارام حران] ثم نزل جنوبا فى خط سيره ماراً بـ [تدمر ودمشق].

ومما يجدر ذكره هنا، أن الأراميين الذين تنسب ـ خطأ ـ التوراة اليهم، استوطنوا عدة مدن من ابرزها: أرم نهر ايم وحران، ومركز فدان أرام، وارام صوبا، وارام مهكة، ومملكة دمشق وشمأل.

وأما [ارام حران] فهى مدينة قوافل، وإن اسمها مشتق من الكلمة الاكدية [حرانو] التى تعنى الطريق(١).. مما يؤكد سعة التأثير الحضارى العراقى خارج منطقة وادى الرافدين.. وهذه المدينة لم تكن مركزاً اساسياً فى حياة النبى ابراهيم، إذ لا دليل يقدمه أى ادعاء بخلاف ذلك.

واصل ابراهيم الخليل مسيرته فدخل [أرض كنعان] فمر بشكيم «نابلس» ومنها إلى أورشليم «القدس»، وكانت مدينة صغيرة فى أول عهدها، ويبدو أنه لم يقم هناك إلا أياما بسبب القحط الذى كانت تمر به أرض كنعان، آنئذ، فغادرها عبر سيناء إلى مصر الفرعونية لغرض التجارة، وربما حاول نشر دعوته التى لم تلق آذانا صاغية بسبب سطوة الفرعون، كما كانت سطوة الملك نمرود فى العراق من قبل.. وعلى الأرجح أن سفره إلى مصر جاء لأن فلسطين يومئذ كانت محمية مصرية، فأراد الاتجار فى بلاد النيل وتحقيق منافع تعينه على مواجهة أعباء الحياة كشأن الرجال الكرماء الذين

يقومون بأود أنفسهم وأود عوائلهم. والنبى إبراهيم اعتمد على نفسه فى الحصول على رزقه خاصة وأنه ترك الكثير من أملاكه فى العراق دون الرجوع إليها

أما الأوضاع السياسية العامة التى كانت سائدة فى مصر أبان العهد الإبراهيمى، فيمكن اختصارها بالشكل الآتى.

لقد كانت الأسرة الفرعونية التى حكمت مصر ما بين سنتى [٢٠٠٠ ـ ١٧٨٥ ق.م] هى الأسرة الملكية الثانية عشرة وكان مؤسسها الفرعون امنمحات.. وقد حكم مصر فى عهد هذه الأسرة الكبيرة، الفراعنة:

١ ـ سيزوستريس الأول.

٢ ـ امنمحات الثانى.

٣ ـ سيزوستريس الثالث.

٤ ـ امنمحات الثالث.

وقد شهدت مصر استقراراً داخلياً ونفوذا خارجياً فى عهد هذه الأسرة. ومع أن أصل هذه الأسرة كان من طيبة، لكنها استقرت فى منفيس، حيث تمكنت من أن تحكم مصر بصورة أفضل وأسهل وأكثر قيادة.

وكان الفرعون سيزوستريس الثالث [١٨٨٧ ـ ١٨٥٠ ق.م] أعظم فراعنة مصر، ونشأت حول ذكره أساطير وحكايات...

وقد امتدت فتوحاته إلى فلسطين.. وقام بأعمال عمرانية جليلة وعديدة(٢)..

ومما دسته الاسرائيليات من تلفيق ـ فيما بعد ـ حول دخول النبى ابراهيم إلى مصر الفرعونية قضية لاتليق بالأنبياء، تلك هى محاولة زواج الفرعون من سارة زوجة ابراهيم، اذ نسب اليه عليه السلام تظاهره أمام الفرعون، بأن سارة هى أخته وليست زوجته، لكى لايأخذها الفرعون غصبا. ولكن الفرعون ردها إليه بعد أن رأى فى المنام أن سارة زوجة لرجل صالح، فعاتبه واكرم مثواه.. ولانريد أن نقف أمام هذه الحادثة لأنها كما تقدم واحدة من [الإسرائيليات].. فالمهم أن النبى ابراهيم عاد إلى فلسطين، لتبدأ مرحلة جديدة فى حياته..

وفى بلاد الشام ستكون له مواقف أخرى..

وقبل الانتقال إلى فلسطين «الأرض المباركة» التى عايشها النبى ابراهيم، لابد من استعراض أبرز الأقوام التى كانت سائدة فى منطقة بلاد الشام وهم: [الاراميون] الذين جرت محاولة لنسبة ابراهيم الخليل اليهم بشكل مباشر، بقصد ابعاد ابراهيم عن صلته بالأصل العربى، من خلال الادعاء بتفرد الأراميين عن بقية الهجرات من الجزيرة العربية، وهى دعوة شبيهة بمحاولة أبعاد السومريين عن أصلهم وانتمائهم العراقى الأصيل، ونسبتهم تارة إلى الهند وتارة أخرى إلى عيلام فارس..

من المعروف إن [الأرامية] شأنها شأن الكنعانية والعبرية ـ فيما بعد ـ تعود إلى المجموعة الشمالية الغربية من اللهجات العربية الجزرية ذات الأصل الواحد، وهى تقترب جداً من اللغة العربية فى نقاط عديدة، مما يوحى بأن الموطن الأصلى للأراميين كان شبه الجزيرة العربية. ومن ناحية أخرى، فأن هناك من الأسباب ما يكفى

لحملنا على الاعتقاد بأن موطنهم الأكثر صلة بهم هو بادية الشام الامتداد الشمالى الطبيعى لشبه الجريرة العربية على وجه التحديد وقد ورد ذكر الأراميين بشكل أو أخر فى المدونات المسمارية، وهناك إشارة إلى مدينة تدعى [أرامى] فى المخطوطات الأكدية ومخطوطات سلالة أور الثالثة، وكذلك فى مدونات المملكة البابلية القديمة(٣)

ويبدو أن هناك إلى جانب الأراميين، قبائل غير متحضرة كانت هى الأخرى فى بادية الشام من أبرزهم [الحوريون والحيثيون والاحلاميون..] وجميعهم يعودون إلى [البدو] الذين كانوا يتنقلون هنا وهناك كما هو شأنهم..

أما الأراميون فقد كانوا أبرز أقوام بلاد الشام وأكثرهم تأثيراً فى شخصية هذا الأقليم الحضارية، رغم أن مدوناتهم واسماءهم تبين لنا بأنهم كانوا يعبدون ألهة سومرية واكدية.. مثل أدد وايل وسن وعشتار.. وبتفاعل اللغة الأرامية مع اللغة الاكدية وخطها المسمارى انتشرت الأرامية بعد ذلك فى أنحاء الشرق واستمرت حتى الفتح العربى الإسلامى فى القرن السابع الميلادى(٤).

وبسبب كثرة الأراميين واستقرارهم تمكنوا من التأثير فى الوجه الثقافى لبلاد الشام وخاصة فى الجوانب اللغوية، إذ أصبحت اللغة الأرامية هى السائدة ابان تلك المرحلة، التى شهدت أفول الدولة الأكدية والدولة البابلية والدولة الأشورية، نتيجة الغزو الأجنبى لوادى الرافدين من الأقوام الهمجية القادمة من الشرق بشكل متوال.

أما صلة سيدنا ابراهيم بالأراميين فهى صلة غير مباشرة، وأبرز ما فى هذه الصلة هو زواج اسحاق من ابنة بتوئيل بن ناحور الأرامى(٥)، ومنها جاء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم المسمى

بإسرائيل، ولأن اليهود يعتبرون [الأم] هى أصل النسبة لذا اعتبروا يعقوب آراميا وأخذ التعميم صفته عندهم فأعتبروا اسحاق وابراهيم من الأراميين.. وهذه مغالطات بعيدة عن الواقع التاريخى كما سبق الإشارة إليها فى صفحات أخرى(٦).

ابراهيم فى فلسطين



وصل سيدنا ابراهيم أرض فلسطين، التى كانت معروفة [بأرض كنعان]، ويبدو أنه احتار المنطقة المحصورة بين الخليل ونابلس حاليا، على امتداد المحور الموصل من :

[الخليل ← بيت لحم ← القدس ← رام الله ← نابلس]

أى المنطقة الوسطى المحصورة بين الغور والسهل الساحلى. لتكون مستقراً لنشاطه الدينى والاجتماعى. .وصل إبراهيم فلسطين وهو أوفر حظاً فى أمور الدنيا والناس.. ولكن رسالته الدينية مازالت لم تأخذ مداها الذى يراد لها.

ولابد من القول ـ بادىء ذى بدء ـ أن مرور ابراهيم الخليل مسبقاً، ببلاد سورية ومن خلالها ـ عبر فلسطين، إلى مصر، لم يكن الا مروراً لغرض الابتعاد عن الاضطهاد السياسى والكهنوتى الذي عاناه فى مسقط رأسه [العراق]. مثلما هو مرور للتعرف على أحوال البلاد وحركة السوق والتجارة فهو أقرب إلى مفهوم [الترانزيت] منه إلى السكن والولاء للبيئة الجديدة. ويبدو أن أبا الأنبياء كان هاجسه موضوع [الإستقرار]، لأنه بفطرته ووعيه أدرك أن نجاح الدعوات لايكون إلا بالاستقرار الطويل، ولكن مروره بفلسطين قبل وصوله مصر قد رغبه فى أرض كنعان، وهذا ما عزم عليه، خاصة بعد اطلاعه على الوضع فى بلاد الفراعنة ـ الذى أشرنا إليه باختصار ـ والذى لم يرق له، وأدرك أن تجربة الملك العراقى نمرود بن كنعان ستواجهه ثانية، أن مكث فى مصر، لهذا حاول أول الأمر [التخفى] فركن إلى العمل بالتجارة ـ أو هكذا تظاهر ـ ثم عاد إلى فلسطين ليستقر فيها إلى حين.. لكنه لمس أن الوضع الدينى والاجتماعى فى فلسطين لم يكن يختلف كثيراً عن ذلك الوضع المشترك الموجود فى العراق أو فى

مصر . وأن تعدد الآلهة ـ أكبر التناقضات التى واجهت دعوة ابراهيم التوحيدية ـ كانت منتشرة فى كل مكان ووجد أن الآلهة الكنعانية التى كانت تعبد فى فلسطين هى مثل الآلهة التى ثار عليها فى العراق.. وأما أبرز هذه الآلهة فهى:

١ ـ الآله آل: ويعتبر أهم وأشهر الآلهة، ومن القابه آله النجدة، وخالق المخلوقات وأب الانسانية، وعرف بأنه الحامى للجميع.. ويوصف علي شكل رجل وسيم ذو شعر لحية بيضاء، ويلبس أحياناً تاجاً مأخوذاً من التاج المصرى الطابع ذىْ القرون والريش.. وقد ورد أنه يعيش فى قصره فوق جبل فى مكان التقاء النهرين مع المحيطين(١).

٢ ـ الآله بعل: على الرغم من اعتباره ابنا للآله ـ آل ـ إلا أن هيكله يعتبر اكبر واغنى الهياكل فى فلسطين، وكانت تناط به قيادة شؤون المدينة.. حتى أن [القسم] أمام الملك يؤدى بأسمه.. وبعل فى الكنعانية تعنى السيد، ومن القابه أيضا ـ الأمير ـ وسيد الأرض والمنتصر.. ويوصف بأنه شاب قوى وكذلك أنه آله العاصفة ـ المحارب والبطل ـ وأنه مسير الغيوم المسيطر على البرق والرعد والمطر.. لذا كانت لكل مدينة كنعانية نسخة محلية من الآله بعل..

ومن هنا فأن وجود النبى ابراهيم، حيثما حل يواجه تحديا مشركاً يمثل المجتمع والدولة معا، سواء فى فلسطين، أو فى العراق أو في مصر أو فى سورية.. لذا اقتصرت دعوته التوحيدية على فئة محدودة من المؤمنين بالله الواحد الأحد.. ومعظمهم من أهل بيته والمقربين له وبعض المريدين من هنا وهناك.. ويمكن القول أن وراء حكمة الله سبحانه فى بناء [العائلة النبوية] التى ستكون شجرة لكل

الأنبياء من آل ابراهيم من نسل اسماعيل واسحاق لذلك فحيثما يكون تحقيق - استمرار النبوة البينوى - تكون وجهة سيدنا ابراهيم - بأمر من الله - وبهاجس ذاتى إنسانى للخلود من خلال استمرار الرسالة وحمايتها.. ويبدو أن هذا هو طبع الانسان العراقى، يسعى دائما نحو الخلود، ومن قبل كان كلكامش شاهداً أخر على ما نقول(*)، حتى ليمكن القول أن فعل سيدنا ابراهيم كان تكراراً للجبلة والطبع العراقى فى هذا الإتجاه..

ومن هنا أيضاً، فأن مكوث ابراهيم الخليل فى فلسطين لم يدم - هو الأخر - طويلاً، وكان مقرونا بتأدية حلقات من الرسالة، وأبرزها كان اقترانه بالسيدة [هاجر] التى رافقته من مصر.. ورغم ما اشاعته الاسرائيليات عن شخصيتها، وهى والدة الابن الأول اسماعيل للنبى ابراهيم، فإنها لاتعدو أن تكون الا احدى اميرات العائلة الفرعونية أو على أضعف الروايات ربيبة البلاط المصرى العظيم(٢).. وبذلك جمع ابراهيم عظمة العراق القديم وعظمة مصر القديمة، واستقرت هذه [العظمة] فى أرض فلسطين لحين من الدهر.. قبل أن تنتقل وتستقر نهائيا فى الحجاز.. حيث سيكون آمنا لعدم وجود [الدولة] لتشكل تحدياً طاغيا ضد رسالة التوحيد وهى المشكلة التى عانى منها النبى ابراهيم باستمرار.

إن أول الأحداث الكبرى فى حياة ابراهيم الخليل، ابان وجوده فى فلسطين، وخاصة بعد أن تقاسم رأس المال مع ابن أخيه النبى لوط، الذى اختار أرض مواب وعمون وآدوم مستقراً له [الأردن حاليا]، هى ولادة ابنه البكر اسماعيل من السيدة هاجر.. وقضى اسماعيل السنتين الأوليين من طفولته فى فلسطين..وبأمر من الله -

وليس لأى شيء آخر كما تدعى الإسرائيليات ـ أخذ النبى ابراهيم زوجته هاجر وابنه الوحيد اسماعيل الى أرض الحجاز، حتى وصل أرض مكة عند موضع الصفا والمروة.وقضى حينا معهما، وعاد لوحده إلى أرض فلسطين(٣).

وقد أدرك ابراهيم الخليل أن هذا الأمر الالهى اشارة واضحة الى أن المستقر والذى لم يتم أو يتحقق لا فى سورية ولا فى مصر، سوف لا يكون أيضا فى فلسطين، وإن كل هذه الأمكنة انما هى محطات تقصر أو تطول فيها الإقامة تؤدى واجبها فى الأخذ والعطاء والتفاعل، حتى يصل الأمر إلى أرض الاستقرار، لارتباط كل ذلك بهدف بعيد هو [خاتم الأنبياء] الذى سيولد من نسل ابراهيم واسماعيل فى بطاح مكة بعد قرون.

وهكذا يمكننا تلخيص التطورات التى رافقت عهد ابراهيم الخليل وبنيه فى فلسطين بالشكل الآتى:

١ ـ بعد ان رزق ابراهيم بمولوده الأول اسماعيل.. وانتقل به إلى أرض الحجاز، عاد الأب الجليل إلى زوجته الأولى السيدة سارة، وإلى نشاطه العام فى فلسطين، وهنا تحرك قلب السيدة سارة بالرغبة للأبناء، كما أن ذكرى الصبى اسماعيل وفراقه الذى شغل قلب الأب ابراهيم.. فتمنى ـ العوض ـ الذى يملأ الفراغ ويكون السلوى حتى يلتقى باسماعيل.. فجاءت ملائكة السماء، ويقال أنهم كانوا جبريل الأمين وميكائيل وعزرائيل ـ عليهم السلام ـ فبشروهما باسحاق ومن بعده يعقوب حفيداً «ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى، قالوا سلاما قال سلام، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم، وأوجس منهم خيفة، قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط.

وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بأسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب، قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا أن هذا لشيء عجيب؟ قالوا اتعجبين من أمر الله، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد»(٤). ومن دلالة هذه الآيات نستطيع أن نلمس أن [الملكوت] فى فلسطين للنبى ابراهيم سينتهى بولادة حفيده يعقوب بن اسحاق، ويؤيد هذا الإستقراء، سفر يعقوب من فلسطين إلى مصر بعد نجاح يوسف عليه السلام فى الوصول إلى منصب [العزيز] أى رئيس الوزراء فى الدولة المصرية، ودعوته لابيه يعقوب وأهل بيته للمجيء إلى مصر.. كما هو مفصل فى سورة يوسف فى القرآن الكريم..

وانتقل النبى ابراهيم ـ بعد ذلك ـ إلى مرافقة ابنه البكر اسماعيل حيث يقيم فى مكة، التى ستشهد اختتام عصر النبوة بعد [٢٤٠٠ عام] عند مجيء سيدنا محمد رسول الله.

٢ ـ إن ما الصق بآل ابراهيم ووصفهم بـ [العبرانيين] لأنهم عبروا نهر الفرات أثناء هجرتهم من العراق باتجاه بلاد الشام، لايمت إلى الحقيقة بصلة، وآية ذلك أن العبرانيين مفهوم مقصود لذاته مرتبط بخروج النبى موسى عليه السلام وجماعته وعبورهم إلى سيناء فى رحلة الخروج من [أرض العبودية] كماتصفها التوراة إلى أرض فلسطين.. وهنا يمكن القول، أن تسمية جماعة موسى ببنى اسرائيل هى من باب اطلاق صفة الجزء الفاعل على الكل.. أى أن موسى وهارون هما من بنى اسرائيل منحدرين من نسل يعقوب بن اسحاق، وأن من معهما كانوا من التابعين من غير بنى اسرائيل، وبعض منهم كانوا من بقايا الهكسوس الذين احتلوا مصر لفترة قصيرة.. علماً أن الفرق بين

عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب من جهة، وعصر موسى وهارون من جهة أخرى كان يناهز السبعة قرون(٥) .

إن العصر العبرى ـ المشتق من العبور إلى سيناء ـ والمرتبط بعهد موسى وهارون من السبط اللاوى لبنى اسرائيل انتهى بدخول الموسويون بقيادة يوشع بن نون الأرض المقدسة.. لذا فهو عصر انتقالى بين مرحلة موسى وظهور المؤمنون بيهوذا مع بداية عهد القضاة واختيار شاؤول(٦) ملكا.. ومن بعده داود وسليمان عليهما السلام(٧).

وللتفرقة بين مفهومى [بنى اسرائيل واليهود] بالامكان مراجعة آيات القرآن الكريم التى ورد فيها هذان المفهومان، خاصة وأن القرآن الكريم يمتاز بالدقة والوضوح اللفظى والمعنوى والدلالة المنسوبة.. فلم ترد ـ بنو اسرائيل ـ إلا بموضعها الصحيح، أى الجماعة التى تنتسب إلى أحد أبناء يعقوب من الأسباط، سواء فى العهود الأولى أو المتأخرة، التى انتهت بسقوط بيت المقدس ورمزه المعروف باسم [الهيكل](*) على يد تيتوس الرومانى عام ٧٠ ميلادية وهو السقوط الثانى.. والذى انتهى عنده الهيكل، وتفرقت بقايا بنى اسرائيل من فرع يعقوب بن اسحاق، أما بعد هذا التاريخ فإن مفهوم [اليهود] يصبح هو السائد، وأول اليهود هم المكابيون، ولذا نجد أن هذه التسمية أى اليهود، هى المتداولة فى آيات القرآن الكريم، فى أحداث شبه الجزيرة العربية عند البعثة الإسلامية، وخاصة فى العهد المدنى، ويكون هذا أكثر وضوحاً عند المقارنة بين سلوك وموقف يهود الجزيرة بأشباههم المكابرون من بنى إسرائيل القدامى، مما يدل على خصوصية كل مفهوم بمرحلته، وعدم جواز اطلاقه بديلا عن الآخر

لانه لايمكن أن يكون مرتبطاً به لا واقعياً ولانفسيا، واسلوب القرآن - كما هو معلوم - لايجاريه بدقته أسلوب مهما سما. والآيات التالية توضح بدقة لفظية ومعنوية وتقريرية هذا المفهوم الذى ساده الغموض طويلا «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشتركين، قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلىٰ إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وأن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.. أم تقولون أن إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، قل أأنتم أعلم أم الله، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون»(٨).

٢ - عقب عودة سيدنا ابراهيم الأخيرة إلى فلسطين، حصلت ثلاثة أمور أذنت له بمغادرتها.. إلى الحجاز وهى(*):

أ - بلوغ اسحاق مرحلة الرجولة والقيام بأمر النبوة.

ب - ولادة يعقوب بن اسحاق تصديقا لبشارة الملائكة بهذه الولادة.

جـ - وفاة زوجته السيدة سارة أم اسحاق، عقب ولادة حفيدها يعقوب.

وهكذا عهد إلى النبى إسحاق إتمام فرع الرسالة الحنيفية، ومن بعده ليعقوب.. والتى استمرت عبر داود وسليمان وموسى ويحيى وزكريا وانتهت فى هذا الفرع من آل عمران بمجىء السيد

المسيح بن مريم ـ عليهما السلام ـ والذى حاربه اليهود أشد الحرب وأكبر الظن أن إبراهيم صحب معه فى زيارته الأخيرة هذه لفلسطين، ابنه اسماعيل، حيث التقى بأخيه اسحاق وبأبن اخيه الوليد يعقوب.. وشارك اسماعيل اباه بمراسم دفن السيدة سارة، وبعد ذلك العودة إلى الحجاز بصحبه ابيه.. ويبدو أيضا أن هاجر أم اسماعيل هى الأخرى قد توفيت بعد وصول ابراهيم وابنها اسماعيل إلى أرض الحجاز، فدفنت بمكة فى نفس الفترة.. وهكذا شيع سيدنا ابراهيم زوجته سارة فى فلسطين وزوجه هاجر فى مكة.. ليبقى متفرغاً لشؤن البيت العتيق الذى بناه مع ابنه اسماعيل حتى اخر يوم فى حياته..

أشاع البعض أمر زواج ابراهيم الخليل من إحدى السيدات والمدعوة [قطورة][٩] ولكن الأرجح انه ما أن عاد إلى مكة بصحبة اسماعيل.. وشيع زوجته هاجر، ثم اطمأن على شؤن البيت العتيق، وعهد بوصيته للنبى اسماعيل، حتى نوفى الخليل الجليل فى أرض مكة ودفن إلى جوار زوجته هاجر على عكس الروايات التى تدعى خلاف ذلك

ولقد قام اسماعيل بدفنه دون اسحاق وابنه يعقوب اللذين كانا فى فلسطين انذاك، ولم يلتقيا بعد ذلك، وهنا صدق قول الله فيه: «واذكر فى الكتاب اسماعيل، إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربه مرضيا»[١٠].

وهكذا أصبحت مكة من أرض الحجاز المقام الأخير للحفاظ على خلود [الحنيفية التوحيدية الإبراهيمية] التى ولدت فى العراق، لتحفظها رمال الصحراء العربية فى شبه الجزيرة من التلوث

والعجمة وهكذا أيضا انبعثت الحنيفية من جديد بظهور الإسلام على يد النبى العربى محمد بن عبدالله فى القرن السابع الميلادى فكانت مكة أول بيت لعبادة الله وتوحيده «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه أيات بينات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فأن الله غنى عن العالمين»(١١)

وتأكيدا لهذا المعنى ولهذه الحقيقة التاريخية جاء فى الحديث الشريف: إن أبا طالب سأل النبى محمد ﷺ يا أبن أخى بما بعثت؟ فأجابه الرسول الكريم. بعثت بدين ابينا ابراهيم[١٢].

ويأتى قوله تعالى إشارة إلى هذا المنهج الواحد بين أبى الأنبياء وبين خاتم المرسلين: «إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، شاكراً لانعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، وأتيناه فى الدنيا حسنة، وأنه فى الأخرة لمن الصالحين، ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»[١٣].

ابراهيم فى الحجاز

اجتمع أمر الله سبحانه ـ وهو فوق كل أمر(*) ـ وأمر الجغرافية، على أن تكون الحجار هي المستقر الذى كان سيدنا ابراهيم يبحث عنه، ويريد بناءه للحفاظ على استمرار الرسالة فلو أن اسماعيل مكث مع اخيه اسحاق فى فلسطين لانتهى عقبه وسط ضجيج وصراعات [الشرق القديم] ولاندثر «صفاء» نسله وسط أمواج الهجرات والغزوات الآرية من فرس وروم واغريق.. التي اكتسحت المنطقة. إضافة إلى صعوبة قيام دعوتين، وإن كانتا تدعوان إلى عبادة آله واحد فى بيئة واحدة. ومما سيزيد من تعقيدها اجتهادات الاتباع التى تتفاوت بسبب قصر التصور حينا، وتضارب المصالح أحيانا

والواقع أن سيدنا ابراهيم منذ أن مكث فى فلسطين عقب عودته من مصر أخذ يتطلع إلى ما حوله، وهو وأن بدت له فلسطين دار سكن، إلا أن هاجسه النبوى كان يفتح افقه وينقله إلى أبعد مما وصل إليه.. ولكن الأنبياء محكومون بالمطلق من أمر الله، وليس بأمر سواه مثل بقية البشر.. ولعل بعضا من آيات القرآن الكريم تنبيء عن مثل هذا الهاجس الجوال الذى لايريم «واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبى، قال فخذ أربعة من الطيور فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً، ثم ادعوهن يأتينك سعيا، وأعلم أن الله عزيز حكيم»(1). وبرغم أن ظاهر الآية الكريمة يوحى بما هى عليه، إلا أنها تتضمن جدلاً وتساؤلاً عن أشياء بعيدة يراد لها جواب.. دون تصريح أو فيها تصريح ضمنى وهو تساؤل المؤمن الذى يحب من آمن به، أن يوسع من إيمانه وعلمه بما غاب عن مداركه وتصوره.

ولاشك أن سيدنا ابراهيم منذ أن أمر بالرحيل مع هاجر

وإسماعيل إلى مكة، أدرك أن أرض القرار ببكة وليس فى غيرها من أرض الله الواسعة، وهذا واحد من الأسباب لتردده بمعدل مرة كل عشر سنوات ما بين أرض كنعان وأرض الحجاز، حتى بلغت عدد رحلاته ثلاثا أو أربعا هى

١ ـ زيارته الأولى. حيث وضع زوجته هاجر وابنه اسماعيل، الذى كان عمره بين سنة وعامين

٢ ـ فى تحقيق رؤيته بذبح ابنه البكر اسماعيل، ففداه الله بذبح عظيم، وكان عمر اسماعيل قد تجاوز الأربعة عشر عاما تقريبا «رب هب لى من الصالحى، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعى، قال يا بنى أنى أرى فى المنام، إنى أذبحك فأنظر ماذا ترى؟ قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، فلما اسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، أنا كذلك نجزى المحسنين، أن هذا لهو البلؤ المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه فى الآخرين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزى المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين»(٢).

أى أن البشارة بولادة اسحاق ونبوته جاءت بعد محاولة الذبح لاسماعيل، فأكرم الله نبيه ابراهيم بغلام آخر كريم.

٣ ـ فى بناء البيت العتيق، وكان اسماعيل قد تجاوز العشرين عاما.. أما [الرابعة] فكانت الأخيرة التى جاور فيها البيت العتيق حتى وفاته.

إضافة لما سبق توجد ـ هنا ـ جملة ملاحظات مستمدة من حيثيات السيرة.. سنتناولها دون اقحام ـ القارىء ـ بتفاصيل الأحداث العديدة الواردة فى مظانها التاريخية ومنها:

١ ـ بعد بناء البيت العتيق، أدرك النبى إبراهيم أن مكوثه الدائم سيكون فى مكة، وليس فى غيرها من بلاد الله الواسعة، وكأن مكة التى لم تعرف قبل ذلك كانت الرجاء الذى استجاب له الرب للخليل ابراهيم لتطمين هاجسه الجوال

٢ ـ إن النبى ابراهيم وابنه اسماعيل لقيا من الوسط العربى فى الحجاز ترحيبا عظيما، وأصبح لهما مكانة مرموقة، فوق مكانتهما، وأن زواج اسماعيل من إحدى بنات مضاض الجرهمى(*)، لدلالة لاتقبل التأويل على هذه المكانة وهذا التكريم.. لقد تواصل ابراهيم بزواج ابنه اسماعيل من هذه السيدة، مع قومه العرب الذين يرتبط وإياهم بأصل واحد سواء أكان ذلك فى: الجزيرة أم في العراق أم في بلاد الشام أم فى فلسطين أم فى سيناء مصر(٣).

٣ ـ إن النبى ابراهيم اطمأن بما لايقبل أى تردد إلى استقراره فى مكة، ولاريب أنه عرف الحكمة التى أرادها الرب من سياحته فى الأرض وتنقله ما بين أقطار الشرق.. وأن دعوته ستنبت سواء فى الأرض الخصبة المباركة [فلسطين] أو فى رمال الصحراء الدافئة وما جاورها [مكة]، تحقيقا لطلب ودعاء الخليل [وإذْ قال ابراهيم ربى اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام، ربى انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فأنه منى، ومن عصانى فأنك غفور رحيم، ربنا أنى اسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فأجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء، الحمد

لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق، إن ربى لسميع الدعاء، ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»(٤)

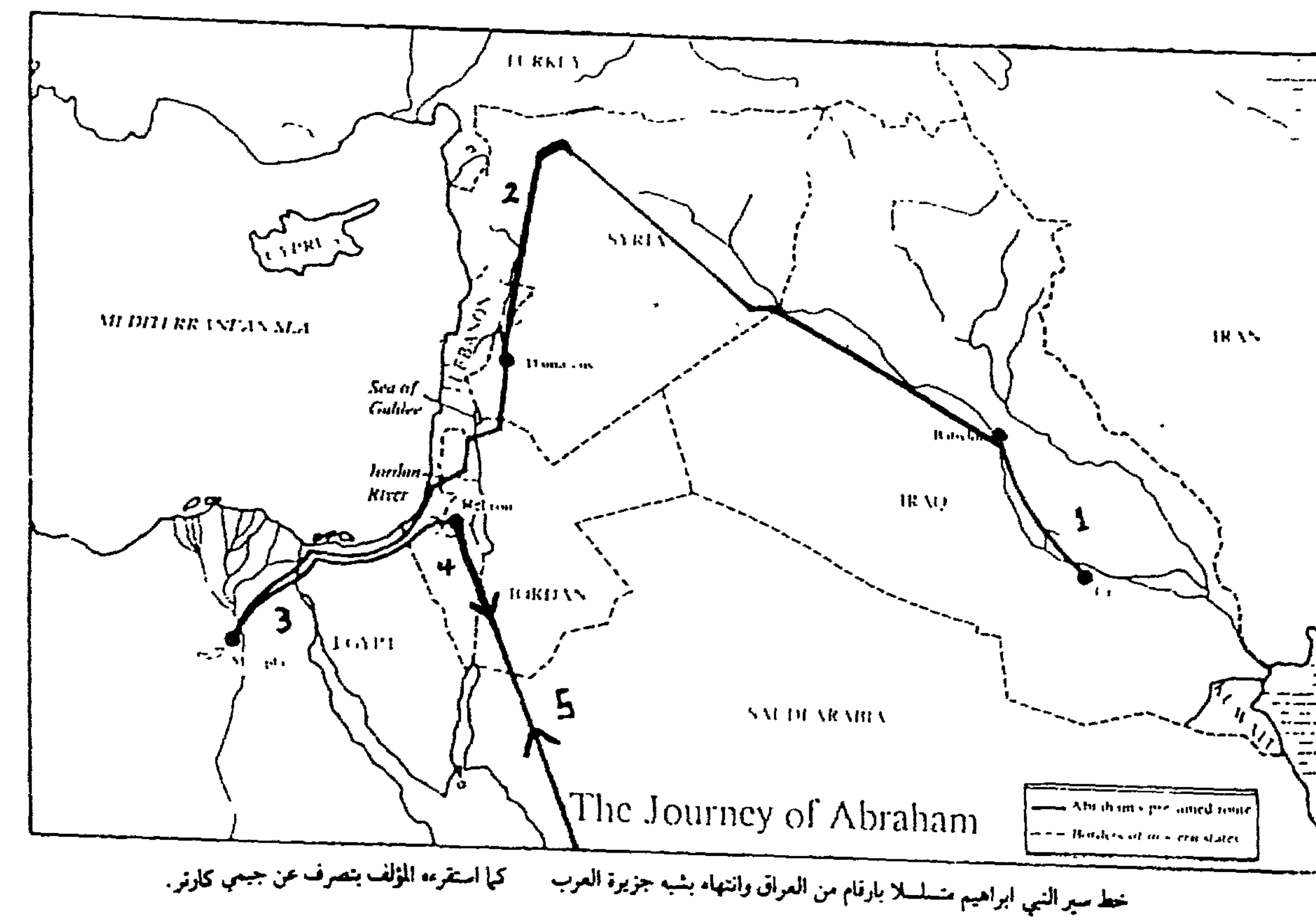
٤ ـ إن المرحلة التى أعقبت وفاة ابراهيم الخليل، بعد عمر ناهز الخامسة والسبعين بعد المائة(٥)، ومن بعده اسماعيل، شهدت انحداراً لعبادة التوحيد، واقتصرت على نفر من الحنيفية، وعادت قبائل العرب إلى تمجيد رموز تقريبهم إلى الله زلفى، ولكنها سرعان ما تحولت بتركيز التقاليد المادية إلى عبادة الأصنام والأوثان المختلفة، وظهر الشرك بالله سبحانه من جديد، ليسود جزيرة العرب وعموم الشرق طوال قرون وقرون، حتى مجىء الإسلام على يد النبى محمد بن عبدالله ليجدد دين ابراهيم، مضافا إليه ما أمره الله به من ضرورات المستجدات والمتطلبات التى تلائم نضوج البشرية زائداً جوهر ما دعا إليه الأنبياء منذ نوح حتى عيسى بن مريم عليهم السلام.

وهكذا يمكننا القول بأطمئنان نابع من الإيمان والعلم والتاريخ الموضوعى والواقع المرئى.. إن ما شهده العالم القديم والوسيط والحديث والمعاصر، يعود فى أساسيات ملامحه وقسماته ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ إلى ذلك النبى العراقى العربى الجليل ابراهيم الخليل.. هى أربعة آلاف عام.. مازالت تعيش بيننا فى عصر التقنية المتطورة والفضاء والذرة والكمبيوتر.. فكم هو [راجح] فى موازين القيم والشخصيات والتاريخ والدين والسياسة والاجتماع هذا النبى العظيم.. ولاشك فى أنه سيبقى هكذا بيننا حتى يرث الله الأرض جميعا.. ويبقى المعيار إنه صاحب العقيدة القدوة.. والانتساب اليه بمقدار الاقتراب من هذه العقيدة المجسدة اليوم وغدا مثلما هى

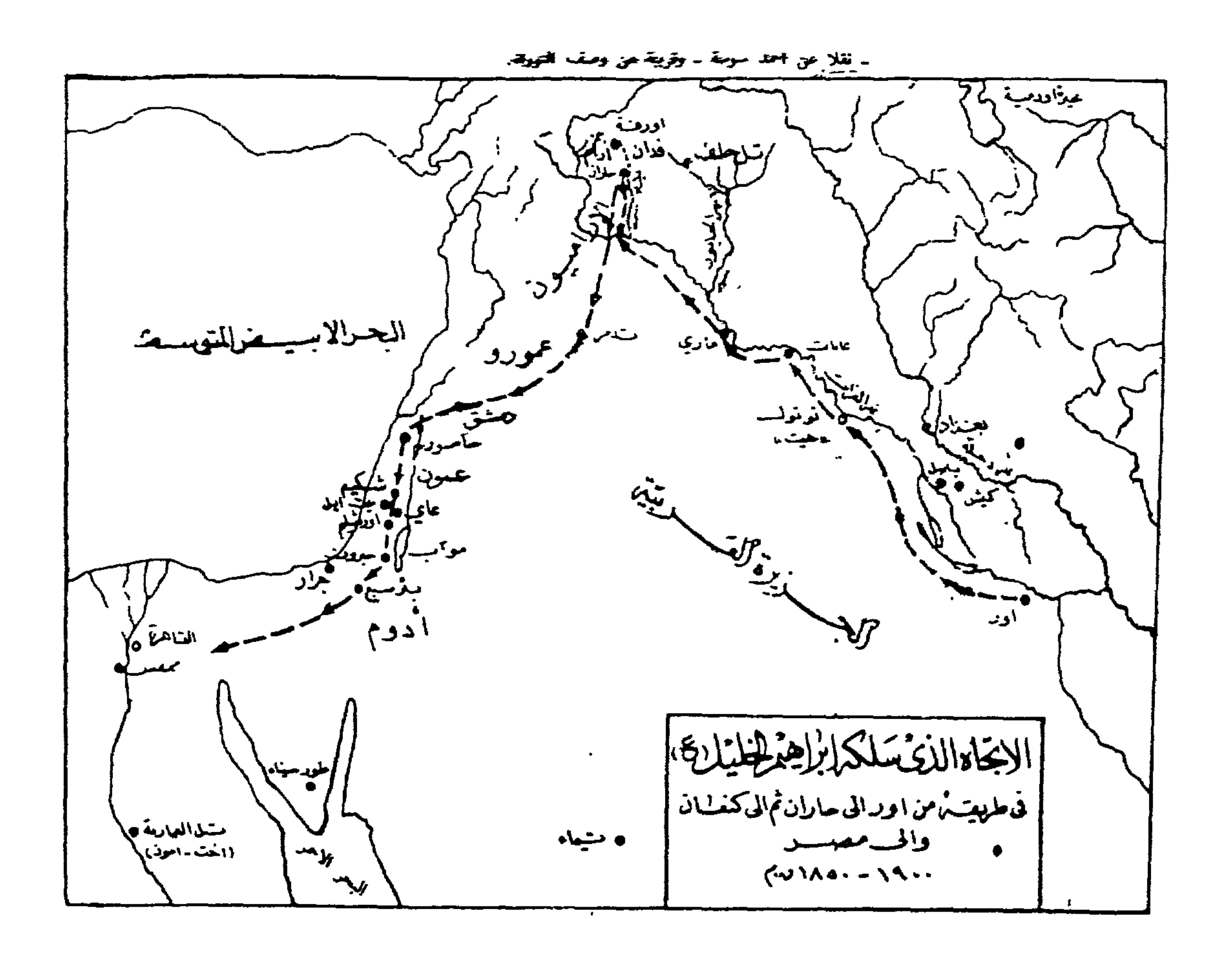
بالأمس فى الإسـلام.. «ومن أحسـن دينا ممن اسلم وجـهـه لله، وهو محسن، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً، واتخذ الله ابراهيم خليلا».

جدول فى السور والآيات القرآنية التي ذكر فيها اسم ابراهيم

م	اسم السورة	رقمها	أرقام الآيات
١	البقرة	٢	١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠
٢	آل عمران	٣	٣٣ ـ ٣٥ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٨٤ ـ ٩٥ ـ ٩٧
٣	النساء	٤	٥٤ ـ ١٢٥ ـ ١٦٣
٤	الأنعام	٦	٧٤ ـ ٧٥ ـ ٨٣ ـ ١٥١
٥	التوبة	٩	٧٠ ـ ١٤٤.
٦	هود	١١	٦٩ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦
٧	يوسف	٢	٦ ـ ٣٨
٨	ابراهيم	١٤	٣٦
٩	الحجر	١٥	٥١
١٠	النحل	١٦	١٢٠ ـ ١٢٣
١١	مريم	١٩	٤١ ـ ٤٦ ـ ٥٨
١٢	الأنبياء	٢١	٥١ ـ ٦٠ ـ ٦٢ ـ ٦٩
١٣	الحج	٢٢	٢٦ ـ ٤٣ ـ ٧٨
١٤	الشعراء	٢٦	٦٩
١٥	العنكبوت	٢٩	١٦ ـ ٣١
١٦	الأحزاب	٣٣	٧
١٧	الصافات	٣٧	٨٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٩
١٨	ص	٣٨	٤٥
١٩	الشورى	٤٢	١٣
٢٠	الزخرف	٤٣	٢٦
٢١	الذاريات	٥١	٢٤
٢٢	النجم	٥٣	٣٧
٢٣	الحديد	٥٧	٢٦
٢٤	الممتحنة	٦٠	٤
٢٥	الأعلى	٨٧	١٩



خط سير النبي ابراهيم متسلسلا بارقام من العراق وانتهاء بشبه جزيرة العرب كما استقرءه المؤلف بتصرف عن جيمي كارتر.



الاتجاه الذى سلكه ابراهيم الخليل (ع)
فى طريقه من اور الى حاران ثم الى كنعان
والى مصر
١٩٠٠ - ١٨٥٠ ق.م
بحيرة اورمية
اورفة
حاران
تل حلف
ماري
عانات
عمورو
البحر الابيض المتوسط
دمشق
حاصور
عمون
شكيم
عاي
اورشليم
حبرون
مؤاب
جرار
بئر سبع
أدوم
القاهرة
ممفس
طور سيناء
تل العمارنة
تيماء
جزيرة العرب
بغداد
بابل
كيش
اور

خط سير النبي ابراهيم من اور الى مصر مروراً بسوريا وفلسطين نقلا عن كتاب - دم ابراهيم - لمؤلفه الرئيس جيمي كارتر متأثراً بوصف التوراة واعتقادات اليهود المعاصره

فهرس الخرائط:

١ ـ خارطة لرحلة النبى إبراهيم فى اقطار الشرق العربى كما يراها المؤلف.

٢ ـ خارطة لرحلة النبى ابراهيم فى اقطار الشرق العربى كما يراها أحمد سوسة.

٣ ـ خارطة لرحلة النبى ابراهيم فى اقطار الشرق العربى كما يراها جيمى كارتر.

المصادر:

١ ـ الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم: عني بجمعه وترتيبه محمد مصطفى محمد، ط٢، بغداد ١٩٨٤.

٢ ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر، دار البيان، بغداد ١٩٧٣.

٣ ـ العراق القديم: جورج رو، ترجمة حسين علوان حسين، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤.

٤ ـ قصص الأنبياء: عبدالوهاب النجار، ط٣، مكتبة النهضة العربية، القاهرة بلا.

٥ ـ حمورابي ملك بابل وعصره: هورست كلنغل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧.

٦ ـ قصص الأنبياء: أبو الفداء اسماعيل بن كثير، ط٢ مكتبة النهضة، بغداد ١٩٨٦.

٧ ـ العرب واليهود في التاريخ: أحمد سوسة، ط٢، العربي للاعلان والنشر والطباعة، دمشق بلا.

٨ ـ جمهرة انساب العرب: ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر بلا.

٩ ـ التوراة: دار الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٨٢.

١٠ ـ اليهودية: محمد بحر عبدالمجيد، ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٥.

١١ ـ فلسطين تاريخها وحضارتها: عز الدين غربية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨١.

١٢ ـ مملكة بابل: ج. جى، لندن ١٩٦٤.
١٣ ـ محمد الثورة والحضارة: جمال عبدالرزاق البدرى، ط٢، دار القادسية للطباعة بغداد ١٩٨٤.
١٤ ـ تاريخ الرسل والملوك: الطبرى، جـ٢ ط١ ، القاهرة بلا.
١٥ ـ أنبياء الله: أحمد بهجت، ط١٣، دار الشروق، بيروت ١٩٨٧.
١٦ ـ قصة الديانات: سليمان مظهر، ط١ ، الوطن العربى، بيروت ١٩٨٤.
١٧ ـ دراسات فى الأساطير والمعتقدات الغيبية: صالح بن حمادى، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس ١٩٨٣.
١٨ ـ مصر القديمة: جان فركوتر، ترجمة الياس الحايك، المنشورات العربية، القاهرة بلا.
١٩ ـ أبو الأنبياء: عباس محمود العقاد، ط مصر، القاهرة. بلا.
٢٠ ـ دم ابراهيم ـ مدخل إلى الشرق الأوسط: جيمى كارتر [نصوص مختارة] ترجمة سلوى ساطع الحصرى، الولايات المتحدة الاميركية ١٩٨٥.
٢١ ـ حضارة الوطن العربى الكبير فى العصور القديمة: أنور الرفاعى، دار الفكر، دمشق ١٩٧٢.
٢٢ ـ حياة محمد: محمد حسين هيكل ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨.
٢٣ ـ فى ظلال القرآن: سيد قطب، م٢ ط١١، دار الشروق، بيروت ١٩٨٥.
٢٤ ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: عبدالوهاب المسيرى، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥.
(٢٥) الفكر الدينى الإسرائيلى اطواره ومذاهبه: د. حسن ظاظا ـ الناشر مكتب سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٥.

هوامش المقدمة:

(١) انظر: جمال عبدالرازق البدرى: محمد الثورة والحضارة ط٢ منشورات دار القاسية للطباعة بغداد ١٩٨٢ ـ ص ١٩٩.

(٢) الآية ٦٨ من سورة الا عمران»

(٣) كتب الرئيس الأميركى السابق جيمى كارتر، كتابا يحمل عنوان ـ دم إبراهيم ـ تناول فيه شخصية الشرق الأوسط على الرغم من أن مفاهيم الكتاب، متأثرة بوجهات نظرة التوراة والصهيونية.. وإنه حاول فيه تقريب المواقف السياسية بين [زعماء الشرق الأوسط] ومما ذكره كارتر: إن محادثاته مع السادات وبيغن كانت فى معظمها تدور حول النبى إبراهيم وأحفاده.

Thr Blood of Abraham.

Jimmy Carter - Insight into The Middle East - 1985 - P 8-6.

(٤) موشى دايان: مذكرات موشى دايان ـ قصة حياة ـ ١٩٨١ ـ الفصل الأول.

هوامش مدخل عام:

(١) تتفق معظم المصادر من يهودية ومسيحية وإسلامية على ان ابراهيم الخليل من أور الكلدانيين فى العراق. انظر من المصادر اليهودية والمسيحية الكتاب المقدس «العهد القديم والجديد» الصادر عن دار الكتاب المقدس ـ القاهرة ـ ١٩٨٢. ومن المصادر الإسلامية قصص الأنبياء لأبى الفداء اسماعيل بن كثير ط٢ مكتبة النهضة بغداد ١٩٨٦. وقصص الأنبياء للمرحوم عبدالوهاب النجار ط٣، مكتبة النهضة العربية القاهرة ـ بلا ـ.

(٢) انظر: طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ـ دار البيان بغداد ١٩٧٣، ص ٤٣٥وما بعدها.

(٣) أن التسمية الملغاة هى [الساميون والسامية] وهى تسمية لاتلائم المنهج الواقعى ولا التوجه القومى.. ومن الجدير بالذكر ان لفظ سامى أول من صاغها فى العصر الحديث هو العالم الألمانى شلوتزر وذلك عام ١٧٨١ ميلادية. وقصد بها مجموعة اللغات الوثيقة الصلة ببعضها، وبالنتيجة انسحب التعميم على الجماعات التى تتحدث بهذه اللغات وسموا بالساميين، إلا أن الاستخدام السياسى لهذا المفهوم هو نتيجة لما ورد فى التوراة من النسبة إلى سام بن نوح كما ورد فى سفر التكوين.. انظر بتوسع: جورج رو: العراق القديم، ص ٢٠٢.

(٤) انظر: طه باقر: مصدر سابق، ص ٣٩١.. استمرت هذه السلالة بالحكم للفترة من «٢١١٢ حتى ٢٠٠٤ ق.م». حكم خلالها خمسة ملوك.

(٥) انظر: طه باقر: مصدر سبق ذكره، ص ٤١١.. والملاحظ هنا أن اللهجة

العراقية الحالية، هى أقرب اللهجات فى جذور مفرداتها اللغوية إلى اللغة العربية الفصحى «الأم» وخاصة لهجة الريف العراقى فى جنوب العراق..

(٦) الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

(٧) الآية ٥٧ من سورة الحديد.

(٨) انظر: جورج رو: مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

(٩) انظر: د. عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ رؤية نقدية ـ مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥، ص ٥٦و ٧٥.

(١٠) ليس هناك حالة تاريخية أو قومية تؤكد على الاختلاف فى الأصل الواحد بين ما يسمى بالعرب العاربة والمستعربة وإنما هى تسمية يراد بها الوضوح فى الإشارة بين عرب الشمال وخاصة فى الحجاز، وعرب الجنوب وخاصة فى اليمن.

(١١) للتوسع انظر: عبدالوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط٣، مكتبة النهضة العربية بمصر، ص ٥٠ و١٠٩. وكذلك انظر: أنور الرفاعى: حضارة الوطن العربى الكبير فى العصور القديمة، دار الفكر، ص ٤٩ . وكذلك انظر: محمد حسين هيكل: حياة محمد، ط٣، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨، ص٨٩. وكذلك انظر: ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٢٢٢.

(١٢) الآية ٧٨ من سورة الحج. وانظر بتوسع: جمهرة انساب العرب لابى محمد على بن احمد سعيد بن حزم الأندلسى، تحقيق عبدالسلام هارون، سلسلة ذخائر العرب، دار المعرف بمصر، ص ٧ و١٧.

(١٣) الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

(*) وهى مرحلة ظهور تسمية «اليهود» نسبة إلى يهوذا.

(١٤) الآيات ٨٤ و٨٦ من سورة الأنعام.

(١٥) تختلف اليهودية دينا عن غيرها من الأديان وذلك بغلق باب الدخول إليها.. واليهودى هو من ولد من ام يهودية. وهذا يتعارض مع طبيعة الدين عامة، ولكنه قرار اتخذه حاخامات اليهود منذ القرون الوسطى.. وهو لا يمت إلى الشريعة الموسوية بصلة، ومازال يشكل ازمة هوية لليهود المهاجرين إلى فلسطين المحتلة.

(١٦) انظر جيمى كارتر: دم ابراهيم، مصدر سق ذكره، ص٤. وانظر كذلك د. احمد سوسة: «رحمه الله» فى كتابه العرب واليهود فى التاريخ، ووقوعه فى هذا الخطأ التاريخى الكبير.

(١٧) الآيات ١٣١ و١٣٢ من سورة البقرة.

(١٨) الآيات ١٢٤ و١٢٩ من سورة البقرة.
(١٩) الآية ١٣٦ من سورة البقرة.
(٢٠) انظر: عباس محمد العقاد: أبو الأنبياء ط مصر ص ٣٩.

هوامش إبراهيم فى العراق:

(١) انظر: سليمان مظهر: قصة الديانات، ط١، دار الوطن العربى للطبع والنشر، بيروت ١٩٨٤، ص ٥٧ و٥٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٠.
(٤) انظر: د. هورست كلنغل: حمورابى ملك بابل وعصره دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٧، ص ٣٢ و١٣٥.
(٥) يطلق اليهود على تقويمهم السنوى بالتاريخ العبرى وهو حاليا سنة ٥٧٥٨ عبرية مقابل ١٩٩٩ ميلادية.. ويعتبروه بداية الخليقة، أى بمعنى أن الحياة بدأت «يهودية» فهم أصل كل شيء بزعمهم.
(٦) للتوسع فى هذا الاتجاه انظر: صالح بن حمادى: دراسات فى الأساطير والمعتقدات الغيبية، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٨٣.
(٧) الآيات من ٥١ إلى ٦٦ من سورة الأنبياء.
(٨) انظر: الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ، ط١، ص ٢٣٤.
(٩) انظر بتوسع: ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٢٨.
(١٠) انظر: محمد حسين هيكل: حياة محمد، ط١٣، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨، ص ٨٥.
(١١) انظر: أحمد بهجت: أنبياء الله، ص ١٣، دار الشروق ١٩٨٧، ص ٧٧.
(١٢) انظر: جى مكوين: بابل، لندن ١٩٦٤، ص ٣٨.
(١٣) انظر: أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، ط٢، العربى للإعلان والنشر والطباعة ـ دمشق، ص ٢٦٤.
(١٤) الآيات ٨٠ و٨٣ من سورة الأنعام.
(١٥) الآيتان ١٦ و١٨ من سورة العنكبوت.
(١٦) الاية ٢٨٥ من سورة البقرة.
(١٧) الآيات ٦٨ و٧٢ من سورة الأنبياء.. والإشارة هنا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين تشمل اقليم بلاد الشام بما فيه سورية والأردن وفلسطين، بخلاف الدعوة الصهيونية من قدسية أرض الميعاد «صهيون واورشليم» على ما سواها من الأرض المجاورة.. وإن كانت فلسطين هى قلب الأرض المقدسة.
(١٨) انظر: أحمد بهجت أنبياء الله، مصدر ذكره، ص ٧٦.

(١٩) الاية ٤ من سورة الممتحنة.
(٢٠) انظر: د. هورست كلنغل حمورابى ملك بابل وعصره مصدر سبق ذكره، ص ٨٧ وما بعدها.
(٢١) الآيات ٤١ و٤٨ من سورة مريم.
(٢٢) الآيات ٢٦ و٢٨ من سورة الزخرف.
(٢٣) الآيات ٧٤ و٨٣ من سورة الأنعام.
(٢٤) انظر: عبدالوهاب النجار: قصص الأنبياء، مصدر سبق ذكره ص ٨٠ و٨١.
(*) كان العراق للنبى ابراهيم بمثابة مكة للنبى محمد، مثلما أصبحت فلسطين والحجاز للنبى ابراهيم بمثابة يثرب للنبى محمد بعد الهجرة. كذلك فإن اتخاذ النبى ابراهيم فلسطين مستقرا مؤقتا له وتحوله إلى أرض الحجاز، يشبه اتخاذ النبى محمد [القدس والمسجد الأقصى] قبلة أولى للصلاة، ثم أمره الله تعالى بالتوجه الدائم إلى الكعبة فى مكة المكرمة.
(٢٥) انظر: أحمد سوسة: مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٦.
(٢٦) انظر: جمال عبدالرزاق البدرى: محمد الثورة والحضارة، ط٢، دار القادسية للطباعة، بغداد ١٩٨٤، ص ٧٥ ومابعدها.
(٢٧) الآيات ٩٦ و٧٤ من سورة هود.
(٢٨) يمثل ما يسمى بـ «اليهود الربيون» النسبة الأكبر من يهود الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة، سواء من الاشكناز أو السفارد، وطقوسهم وشريعتهم ومحاكمهم الدينية وتأثيرهم السياسى الاجتماعى هو السائد على سواهم من جماعات يهودية أخرى.. ومعظمهم من الصهاينة المتطرفين سياسياً وفكريا. للتفاصيل ينظر كتابنا: الأحزاب الدينية الإسرائيلية... فلسفة التاريخ والمعاصرة...
(٢٩) الآية ٦٥ من سورة آل عمران.

هوامش إبراهيم فى الشام ومصر:

(١) انظر: طه باقر مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٣.
(٢) انظر بتوسع: جان فركوتر: مصر القديمة، ترجمة الياس الحايك المنشورات العربية، مصر ـ بلا ـ ص ٦٣ وما بعدها.
(٣) انظر: جورج رو: العراق القديم، مصدر سابق ذكره ص ٣٦٨ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق..
(٥) انظر: الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ الاصحاح الرابع والعشرون من سفر التكوين.
(٦) انظر بتوسع: د. حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى اطواره ومذاهبه، الناشر مكتب سعيد رافت القاهرة ١٩٧٥.

هوامش ابراهيم فى فلسطين:

(١) انظر بتوسع: د. عزالدين غريبة: فلسطين تاريخها وحضارتها، ومنشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٨١، ص ١٢٨ وما بعدها.

(*) تتفق الروايات على معاصرة (كلكامش) لعهد نوح عليه السلام، ورغم أن البعض يعتبر ذلك اسطورة.

(٢) اود الإشارة إلى أن معظم آراء المعنيين بشؤون الحضارة والتاريخ القديم، اكدوا (عروبة المصريين القدماء) وخاصة العائلة الفرعونية الحاكمة عبر مختلف الأسر التى كانت فى سلطان مصر القديمة، وفى هذه المناسبة اشيرإلى قولين يؤكدان هذه الحقيقة التاريخية:

أ ـ ما يتعلق باللغة المصرية.. إذ قال غوستاف لوبون: «إن كل جذور اللغة المصرية القديمة، ومعظم قاموسها يتركب من عناصر ـ سامية ـ حتى اجروميتها» والسامية هى إشارة إلى العربية الأم.

ب ـ ما قاله غوستاف حيكى: «إن سكان مصر القدماء جاءوا إليها من جزيرة العرب، قبل ستة آلاف سنة، وإن الأسر الفرعونية الأولى من هؤلاء القادمين...».

انظر بتوسع: أنور الرفاعى: حضارة الوطن العربى فى العصور القديمة، ص ٥٦ وما بعدها.

(٣) عن ابن عباس: أن النبى ﷺ قال: اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل، اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبإبنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ احد، وليس بها ماء، ووضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمراً، وسقاء فيه ماء، ثم قفى ابراهيم منطلقا..».

انظر: عبدالوهاب النجار: مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

(٤) الآيات ٦٩ و٧٦ من سورة هود.

(٥) انظر: أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، مصدر سبق ذكره، الفصل الخاص بعصر ابراهيم واسحاق ويعقوب..

(٦) شاؤول ورد ذكره فى القرآن الكريم بإسم [جالوت].

(٧) حول اليهودية ومكوناتها الاعتقادية والتاريخية.. يمكن الرجوع إلى كتاب اليهودية: د. محمد بحر عبدالمجيد ـ ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٥.

(*) حول الهيكل.. انظر بتوسع: جمال عبدالرزاق البدرى: هيكل سليمان واثره فى الفكر اليهودى في كتابنا الأحزاب الدينية الاسرائيلية.

(٨) الآيات ١٣٥ و١٣٩ من سورة البقرة

(*) تتفق معظم المصادر على أن ابراهيم الخليل، دفن فى مدينة [حبرون] التى تسمى الخليل فى فلسطين.. الا أن سياق الأحداث والسيرة ـ بالنسبة لى ـ ترجح أن الوفاة، كانت فى مكة.

(٩) وتشير التوراة أن أولاد قطورة هم: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا.

(١٠) الآيتان ٥٤ و٥٥ من سورة مريم.

(١١) الآيتان ٩٦ و٩٧ من سورة آل عمران.

(١٢) انظر: سيد قطب: فى ظلال القران م٢، ط١١، دار الشروق بيروت ١٩٨٥.

(١٣) الآيات ١٢٠/١٢٣ من سورة النحل.

هوامش ابراهيم فى الحجاز:

(*) هناك تفسيرات لاتقع ضمن دائرة العلم التاريخى المحصور بين الأسباب والنتائج، بشأن معطيات لايمكن القول فيها سوى إنها من أمر الله أو القدر.. لانعدام الأسباب المباشرة والمنظورة فى تفسير الحدث التاريخى لها.. وخاصة فى حياة الأنبياء..

(١) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢) الآيات ١٠٠ و١١٢ من سورة الصافات.

(*) جُرهم: قبيلة عربية من أولاد قحطان، نزلت موضع مكة قبل قبيلة قريش، وسبب نزولها مكة اكتشافها لماء زمزم ولم يكن حول الماء سوى هاجر وابنها اسماعيل، الذى كان صغيراً فنشأ مع هذه القبيلة وتزوج منها.

(٣) تؤكد المصادر التاريخية ومنها التوراة، التكريم الذى لقيه النبى ابراهيم من أحد شيوخ البدو الأعراب، القاطنين فى شبه جزيرة سيناء، والمدعو [مالك] عند مرور ابراهيم على مضارب هذا الشيخ الإعرابى المقيم فى أطراف الصحراء العربية. بعد عودة ابراهيم من مصر..

(٤) الآيات ٣٥ و٤١ من سورة ابراهيم.

(٥) انظر: الاية السابعة من الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين فى التوراة المعاصرة.. ويشير المصدر نفسه إلى أن عمر اسماعيل بلغ مائة وسبعا وثلاثين سنة.

الكاتب فى سطور

١ ـ من مواليد العراق ـ ١٩٥٧.

٢ ـ متخصص فى تاريخ الشرق الأوسط المقارن.

٣ ـ عضو اتحاد الأدباء والكتاب والمؤرخين العرب.

٤ ـ يعمل حاليا فى السلك الدبلوماسى.

٥ ـ له العديد من الأعمال، منها فى مجال البحوث والدراسات :

أولاً: اليهود وألف ليلة وليلة.

ثانياً: النبى إبراهيم والشرعية السياسية.

ثالثاً: هندسة القرآن.

رابعاً: النبى محمد: رؤية جديدة.

خامساً: الصراع فى لبنان.

سادساً: أدب الناشئة فى إسرائيل.

سابعاً: الأحزاب الدينية الإسرائيلية.. فلسفة التاريخ والمعاصرة.

ثامناً: الدين الرابع: رؤية فى الشيعة والتشيع.. (يصدر قريبا).

تاسعاً: الأحزاب الدينية الصهيونية والمصرية دراسة مقارنة.. (تحت الطبع).

عاشراً: الهرم المقلوب: رؤية بابلية فى وصف مصر.. (تحت الطبع).

احد عشر: موسى نبى السياسة.. (تحت الطبع).

اثنا عشر: عودة.. فرعون (رواية سياسية عن العولمة وخلفيات الحوار والصراع فى الشرق الأوسط.. يتم اعدادها فى فيلم سينمائى).

المحتويات

تزكية .... ص ٣
مقدمة .... ٤ _ ١٢
مدخل عام: من عصر فجر السلالات
حتى سقوط بابل .... ١٣ _ ٢٨
ابراهيم فى العراق .... ٣٠ _ ٤٩
ابراهيم فى بلاد الشام ومصر .... ٥٠ _ ٥٦
ابراهيم فى فلسطين .... ٥٨ _ ٦٨
ابراهيم فى الحجاز .... ٧٠ _ ٧٦
جدول فى السور والآيات القرآنية ٧٧
خرائط .... ٧٨ _ ٨٠
فهرس الخرائط ٨١
المصادر والهوامش .... ٨٣ _ ٩٠
الكاتب فى سطور .... ٩١ _ ٩٢
المحتويات ٩٣

مع اطلالة الألفية الثالثة للميلاد العظيم للسيد المسيح عليه السلام.. يحظى موضوع النبى الجليل ابراهيم، بأهمية استثنائية، عند جميع الأديان فى العالم.. خصوصا اليهودية والنصرانية والإسلام.

هذا الكتاب مساهمة حضارية ـ غير تقليدية ـ مع المؤمنين فى كل مكان، ليقول لهم الحقيقة، بعيدا عن التشويش والفوضى والادعاء الصهيونى..

فى عام ١٩٨٩ صدرت الطبعة التجريبية لهذا الكتاب، ببغداد، لكننا اليوم نعيد طباعته فى القاهرة (١٩٩٩)، بعد أن امتدت إليه الأيدى وسرقت منه الكثير دون الإشارة إليه.. متوهمين إن المؤلف لن يكشف هذا السطو المسلح على بنك الفكر، بكنوزه المتعددة... فظهر كتاب (اخر) وبأسم اخر، بعد المقارنة، وجدنا إنه استنساخ من هذا الكتاب، وسنحتفظ بحقنا بالرد فى الوقت المناسب..

إن بركة سيدنا النبى ابراهيم عليه السلام، عمت الأرض طرا، ويتنافس على الحصة الأكبر منها الكثيرون.. لكن هذه البركة التى تجسد الشرعية السياسية والدينية والفكرية والتاريخية، لجميع الأديان.. لن تكون إلا من حصة المؤمنين الصادقين، وليس للظالمين والكافرين والعنصريين شيئا منها، وإن ادعوا ذلك باطلا.. (قال لا ينال عهدى الظالمين)... فالقوة لايمكنها أن تلغى حقيقة كبرى أصلها نابع من شرعية السماء
لإرضاء ظاهرة متهافتة عابرة، فى حسابات التاريخ العظي
واليوم وغدا....

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

٥ ش مصطفى طموم، المنيل ـ القاه

تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧